الشعب يجلس على العرش

وحكايات عُمْر

صلاح منتصر

اهداءات ٢٠٠١

صيدلى/ حسن سعد الدين حجازى

الإسكندرية

الشعب يجلس على العرش
وحكايات عمر

مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

الشعب يجلس على العرش
وحكايات عمر

صلاح منتصر

الغلاف

الإشراف الفني:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وان مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة في عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

العمر.. أى عمر مجموعة حكايات.. وليس ضروريا أن يروى الإنسان حكايات عمره بالترتيب. ربما كان الأكثر تشويقا أن يلتقط حكاية من الماضى وأخرى من الحاضر فليس سهلاً أن تضغط على زرار وتتذكر كل الأحداث والحكايات التى عشتها.. وهذه السلسلة من الحكايات هى حكايات عاشها ورآها مؤلف الكتاب ولكنه بغير ترتيب مسبق ألقى سنارته فى بحر عمره كى يصطاد ما تسعف به الذاكرة!

الدرس الأول فى آخر ساعة

كان من حظى أننى بدأت أعرف قراءة الصحف والمجلات فى بيت يشترى مجلة آخر ساعة التى كان يرأسها الأستاذ والمعلم الكبير محمد التابعى. وفى الوقت الذى كان كاتب المقال يبدو فيه أنه يستقل قطارا له قضبان مستقيمة لا يستطيع الخروج عنها، جاء محمد التابعى بنبض جديد للمقال خرج فيه على القضبان والمحطات وقواعد القيام والوصول وكل ذلك بأسلوب بالغ البساطة والسهولة إلى درجة أننى كنت فى الحادية عشرة أستطيع فهمه بل واستعذبه، وفى الوقت نفسه بالغ القوة والضعف إلى حد أنه كان يهز الوزارات ويسقطها.

وفى آخر ساعة القديمة قرأت لمصطفى أمين لأول مرة، وكان أغرب ما فى مصطفى أمين أسلوبه المميز الذى رافقه من أول مقال كتبه حتى وفاته.. أسلوب تستطيع أن تخرجه بسهوله من بين مئات المقالات. ورغم دخول جريدة الأهرام إلى بيتنا فى ذلك الوقت إلا أننى لم أجد ألفة بينى وبينها، ولم أستطع أن أتكيف مع أسلوبها الوقور جدا الذى يبدو فيه الكاتب مرتديا بدلة وبابيون ويضع المونوكل على إحدى عينيه! ولهذا حدث لى ما حدث للكثير من القراء الذين فاجأتهم جريدة أخبار اليوم الأسبوعية عند صدورها

في ١١ نوفمبر ١٩٤٤. كانت صحافة بالمقارنة لصحف ذلك الوقت، من نوع جديد مختلف فى العناوين والإخراج والاسلوب. صحافة تجذبك بعناوينها ومقدماتها ورسومها الكاريكاتيرية ومقالاتها القصيرة والمتنوعة وإيقاعها السريع. صحافة تضع أسماء كتابها ومحرريها فى مانشتات الصفحة الأولى وبالبنط الكبير، وتطير إلى مواقع الأحداث وتتسابق. فى اصطحاب القارئ إلى هذه المواقع. صحافة يختلف عليها الكثيرون ولكنها تشد اهتمامهم ومناقشاتهم ولغاتهم ومديحهم وهم جميعا برغم اختلاف انطباعاتهم لا يستطيعون تجاهلها وإعطاءها ظهورهم.

وهكذا كتب لى أن أبدأ القراءة بآخر ساعة المجلة، وأخبار اليوم الصحيفة.

وفى آخر ساعة عرفت شكلا جديدا للكتابة لم يكن مألوفا فى الصحافة المصرية فى ذلك الوقت.. فقد كانت الكتابة تنقسم إلى ثلاثة أنواع منها: الخبر والمقال سواء كان سياسيا أو ثقافياأو أدبيا.. أو فنيا.. إلخ والقصة.

ولكن آخر ساعة خرجت علينا بنوع رابع من الكتابة أصبح مشهورا فيما بعد وأخذ اسم التحقيق الصحفى.

والتحقيق الصحفى هو خليط من المقال والخبر والقصة مع إضافة نكهة كاتب التحقيق التى تشبه صنعة الطباخ الذى تفرقه عن طباخ آخر.. فالعناصر الأساسية أمام كل الطباخين شبه واحدة، ولكن هناك واحد طعامه له مذاق وطعم وآخر ليس له هذا الطعم.

التحقيق الصحفى عبارة عن استطلاع يقوم به الصحفى للتعرف على عديد الآراء فى قضية أو مشكلة فهو يجمع آراء الذين يشرحون المشكلة

والذين يكشفون عيوبها ويعارضون الحل المستخدم ويقترحون حلولا أخرى، ثم يصوغ ذلك كله في أسلوب يضع فيه خبرته وبصمته لجذب اهتمام القارئ وتشويقه.

وكاتب التحقيق الصحفى ينتقل من موضوع لموضوع ففى أسبوع قد يكتب عن مشكلة المرور، وفى أسبوع ثان قد يعالج فى تحقيق صحفى قضية العلاج أو الدواء وفى أسبوع ثالث قضية البطالة، ثم فى أسبوع رابع قضية إذاعة المباريات تلفزيونيا.. وهكذا.. وهذا التنوع يشكل بغير شك حصيلة وفيرة لدى كاتب التحقيق ومعرفة فى عديد المجالات بما يفيده مستقبلا عندما ينتقل من كتابة التحقيق إلى كتابة المقال.

وفى آخر ساعة القديمة قرأت التحقيق الصحفى لأول مرة ورغم مرور ما يقرب من ٥٠ سنة إلا أننى مازلت أذكر أول تحقيق جذب اهتمامى وكان عن أسرة تسكن فى شبرا وقد فوجئت بأشياء غريبة تحدث فى المنزل فالأطباق تتطاير كما لو أن هناك من يقذف بها وكراسى المائدة تهتز.. وليس هناك تفسير لهذه الظاهرة غير أن العفاريت تسكن فى هذا البيت فى شبرا.

وكان كاتب التحقيق صحفى لم أكن قد قرأت اسمه من قبل وهو محمد حسنين هيكل. وفيما بعد اشتهر صاحب هذا الاسم عندما انتقل إلى أخبار اليوم وعمل مراسلا حربيا في حرب فلسطين، ولم تكن مصر قد دخلت حروبا من قبل فى الخمسين سنة الأخيرة ولذا كانت صفة المراسل الحربى جديدة علينا.

ومن فلسطين نقل هيكل عددا كبيرا من التحقيقات الصحفية والأحاديث التى أجراها مع الجنود والضباط والفلسطينيين.

ولما كان على أمين يرأس تحرير آخر ساعة فقد فوجئنا نحن قراء آخر ساعة بعلى أمين يقدم إلينا رئيسا جديدا للتحرير يجلس مكانه وقد تحدث عنه كما يتحدث الأب عن ابنه بكل الحب والفرحة وهو يقدمه لقرائه.. وكان ذا فى مناسبة انتقال على أمين للتفرغ لإصدار صحيفة الأخبار اليومية فى منتصف عام ١٩٥٢، قبل خمسة أسابيع من قيام ثورة يوليو ٥٢.

●●●

كل إنسان سائر إلى قدره ولكن الجسور تختلف..

وقد كان جسر دخولى إلى أخبار اليوم الزميل الأستاذ محمد وجدى قنديل الذى التقيت به فى كلية حقوق إبراهيم باشا (عين شمس كما أطلق عليها بعد الثورة) وقد عرفت منه أنه «يعمل» فى آخر ساعة.. ومثل الطفل الذى يتعلق بأبيه عندما يفتح الأب باب البيت فى طريقه إلى الشارع خارج البيت كذلك فعلت مع وجدى، وبالفعل صحبنى إلى أخبار اليوم..

واكتشفت فيما بعد أن وجدى مازال تحت التمرين فى أخبار اليوم، وأنه لم يسبق له أن قبض فلوسا من أخبار اليوم.

كانت أول مرة يقبض فيها هى التى كانت بعد حوالى شهرين من عملى فى آخر ساعة وكان ذلك فى شهر مايو ١٩٥٣، وقد تقدمت بكشف سجلت فيه الموضوعات التى قمت بتنفيذها فى خلال الشهرين، وكذلك فعل وجدى. وبدأنا وجدى وأنا نحلم بالجنيهات الوفيرة التى ستدخل جيوبنا وبدأنا على ما أذكر برقم ٨٠ جنيها لكل منا ثم أجرينا تخفيضا على المبلغ فقد صعب علينا أصحاب أخبار اليوم من تحملهم هذا

المبلغ المرهق، وقبلنا وجدى وأنا بأربعين جنيها فقط لكل منا.. وجاء يوم القبض المعلوم.. أول مرة نقبض فيها من عملنا فى الصحافة ونبرز فيها بأشخاصنا فى خزينة أخبار اليوم ونشعر فيها أننا أصبحنا من المهمين، وكنت أود لو أن كل عامل فى أخبار اليوم قد جاء ورآنا ونحن نقف فى الخزينة ونوقع إيصالات الصرف ونقبض الأربعين جنيها وهو مبلغ يعادل بأرقام اليوم الكثير.. فلو أخذنا بسعر الجنيه الذهب وكان ثمنه فى ذلك الوقت سبعة وتسعين قرشا ونصف فى مقابل ٣٠٠ جنيه للجنيه فى هذا الوقت من عام ٥٢ قبل ٤٢ سنة كانت الأربعين جنيها التى تنتظرها تساوى ١٢ ألف جنيه بحساب أيامنا!

ثروة طبعا ويا أيها الناس تعالوا واشهدوا .. ودخلنا الخزينة وجدى وأنا، وأخرج موظف الخزينة الإيصال لنوقعه، وبسرعة خاطفة وقعت عيناى على الرقم.. وأرتج على.. وشعرت كما لو أن أحدا أحضر شومة وخبطها بشدة على رأسي.. لم يكن الرقم المكتوب أربعين جنيها أو ثلاثين أو حتى عشرين بل كان أحد عشر جنيها وخمسمائة وستين مليما!

ووقع وجدى قنديل على الإيصال، ولكننى رفضت التوقيع.. وثرت.. وقال وجدى: عاوز تعمل إيه؟

قلت: عاوز أقول للأستاذ هيكل.. أكيد إنه لا يعرف وأن هذا المبلغ قرره لنا مصطفى بيه (أمين).. ويعرف إيه مصطفى بيه عن شغلنا علشان يكتب لنا هذا المبلغ.. وبالتأكيد عاوز يطفشنا..

واستمع وجدى إلى كلامى، وترك الإيصال الذى وقعه وجاء معى لنذهب إلى الأستاذ هيكل..

وبالمصادفة كان موجوداً فى مكتبه رغم أن الوقت مساء..

آه لو عرف، سوف يطربق الدنيا.. وقلت لوجدى: تفتكر حيعملها أزمة مع مصطفى بيه.

قال وجدى: أكيد.. ده مش حيسكت..

وطرقنا الباب.. ودخلنا..

وبدون سلام بادرت الأستاذ هيكل بقولى: سيادتك شفت المبلغ الذى صرفوه لنا عن شغل الشهرين؟

قال هيكل بهدوء بالغ: آه شفته.. فيه إيه؟

ولم أستطع مواصلة النطق..

كانت فجيعتى فى المبلغ كوم ولكن كانت فجيعتى فى معرفة الأستاذ هيكل به خمسين أو مائة كوم!

إذا هذا هو الأستاذ هيكل الذى جئنا لاجئين إليه لينقذنا ويضرب المكتب بقبضته ويثور معنا: من الذى فعل ذلك..؟ ها هو بهدوء شديد يجيبنا بأنه يعرف!!

ووجدت الأرض تدور بى، وأفقد النطق وأشعر بقدماى وقد ضعفتا ولم تعودا قادرتين على حملى.. وكان هناك فوتيه ارتميت إليه بحركة لا إرادية.. وشعر هيكل بكل ما كان يجرى فى داخلنا، وقام بنفسه من وراء مكتب واتجه إلى باب المكتب.. أغلقه بالمفتاح وطلب إلى وجدى قنديل أن يجلس هو الآخر..

ولم أعدِ قادرا على الكلام.. فقدت النطق تماما..

وتحدث هيكل وكان الدرس الأول الذى تعلمته فى الصحافة.

الدرس الذى لم أنسه، وهو درس بالغ الأهمية، لأنه يتعلق بالصحفى والمادة..

والصحفى الناشئ عندما يدخل مجال العمل الصحفى تجذبه ثلاثة خيوط.. تجذبه هوايته للصحافة إذا كان عاشقا ومتيما لها.. وتجذبه الشهرة التى تحيط بكبار الأسماء، وتجذبه الأرقام الكبيرة التى تقال أن الكتاب يقبضونها.. وهكذا فإن عنصرا من عناصر الرغبة فى العمل الصحفى هو التكسب..

●●●

ومازلت رغم مرور السنين أذكر ما قال لنا الأستاذ هيكل عندما أشار إلى أن تاريخ الصحفى يمكن أن ينقسم إلى ثلاث مراحل، مرحلة يعطى فيها من الجهد والعمل ما يفوق كثيرا ما يتقاضاه، ومرحلة تالية يتحقق فيها التوازن نوعا بين ما يعطى وما يأخذ، ثم مرحلة ثالثة يبدو فيها أنه يحصل على أكثر مما يعطى فى حين أن قيمة ما يعطى هى التى ارتفعت بالإضافة إلى سهولة ما يقدم، فالموضوع الذى كان يكتبه فى أيام وهو صغير يكتبه فى ساعات قليلة عندما يكبر وتكبر حصيلته وخبرته وتجاربه وثقافاته. ونصيحتى إليكم ـ هكذا قال لنا هيكل ـ ألا تتعجلوا..

ظللت ساهما طوال الحديث..

لم أفتح فمى بكلمة فقد ظللت فاقد النطق وأنا غير مقتنع.. ربما هدأت نفسى ولكن قدراتى على التفكير كانت باهتة..

وخرجنا من مكتب الأستاذ هيكل.. وذهبنا إلى الخزينة.. ووجدناها مغلقة. وراح وجدى يسب ويشتم..

وبدت لنا الجنيهات الأحد عشر أكبر كثيرا مما كنا نتصور.

وعدنا فى صباح اليوم التالى نسابق بعضنا خوفا من أن نذهب إلى الخزينة فنجد الموظف وقد تعلل لنا بأى سبب يجعله غير قادر على الصرف، فقد كان أمراً عاديا أن يذهب الصحفي ليقبض من الخزينة فيعتذر له الموظف بعدم وجود نقدية..

ومثل هذا حدث معى أكثر من مرة فيما بعد..

فقد كانت أخبار اليوم تبنى نفسها بنفسها..

ولم تكن أيام البناء سهلة أو ميسورة..

الشعب يجلس على العرش

إنسان.. واحد بين الكثيرين.. مثله ملايين عديدة.. في البيوت والشوارع.. في المدن والقرى.. ما الذى يفرق واحدا عن الآخر؟ سؤال جوابه: الدور الذى يقوم به هذا الإنسان.. هذا الدور هو الذى يعطيه أهمية.. الشعور بالأهمية، الشعور بأنه شخص مختلف عن الآخرين.. ربما كانت أول مرة أجرب فيها هذا الشعور يوم ظهر اسمى لأول مرة فى مجلة آخر ساعة.. قال لى الأستاذ محمد حسنين هيكل يومها: هل بدأت تتلقى رسائل المعجبين، عدت انظر إلى مجلة آخر ساعة التى كان بها الموضوع الذى يحمل اسمى.. قرأته مرة واثنتين.. ونظرت إلى الاسم المكتوب فى آخر الموضوع.. أنه اسمى أنا.. كان خطه صغيرا ورغم ذلك خيل لى أنه كبير إلى درجة أن كل مصر كانت تقرأه.. لم أكن قد وصلت سن العشرين بعد.. وعدت أنظر إلى الاسم المطبوع.. وشعرت لأول مرة بأهميتى، ليس بالنسبة للآخرين، وإنما بالنسبة لنفسى.. وأدركت فى لحظة كم هو جميل أن يكون للإنسان دور مميز.

●●●

لم يكن هذا أول تحقيق صحفى أكتبه فى آخر ساعة فقد كان لى أكثر من أربعة شهور بدأت العمل خلالها فى مجلة الجيل الجديد ثم آخر ساعة.. أربعة أشهر لم أتوقف خلالها أسبوعا واحدا عن كتابة أكثر من تحقيق.. وعندما أغرانى الأستاذ هيكل بالانتقال من مجلة الجيل الجديد إلى مجلة آخر ساعة (والاثنتان تصدرهما أخبار اليوم ولكن كانت الجيل الجديد رئيس تحريرها الأستاذ إسماعيل الحبروك وآخر ساعة رئيس تحريرها الأستاذ محمد حسنين هيكل) فلقد كان مفروضا أن أضع اسمى على أول تحقيق صحفى قدمته للأستاذ هيكل وكان تحقيقا عن أسبوع الدواجن.. كانت مصر فى ذلك العام ـ ١٩٥٣ ـ بعد شهور قليلة من «الحركة المباركة للجيش». كما كنا نسميها قد ابتكرت موضوع الأسابيع .. أسبوع المرور، وأسبوع الشجرة، وأسبوع الدواجن لتحريض الناس على تربية الدواجن وتكوين ثروة ذاتية فى كل بيت.

وعندما قدمت الموضوع إلى الأستاذ هيكل وقعته وأنا على خجل بـ «صاد». ونظر لى الأستاذ هيكل بحنان الأب بعد أن قرأ الموضوع وقال: ولماذا صاد؟ .. وشطب على صاد ثم كتب: صلاح منتصر.

هكذا من أول اسبوع أوقع موضوعا فى آخر ساعة.. معقولة دى؟

ذلك أن وضع اسم صحفى ناشئ على أى موضوع كتبه لم يكن سهلا.. كان الأمر يحتاج إلى جهد وعرق ومثابرة حتى يتأكد أن هذا الناشئ ليس عابر سبيل بالصحافة يهوى أضواء الشهرة أو يبحث عن تحقيق أهداف شخصية خاصة من وراء العمل بها.. وذهب الموضوع إلى المطبعة.. وجاءت بروفات الموضوع والاسم فى نهايته بارزا واضحا..

ولكن.. وقبل يومين اثنين من طبع المجلة فتح الأستاذ هيكل نافذة فى فاصل زجاجى كانت تفصل بين حجرته وحجرة سكرتير التحرير وكان يعرف بوجودى وقال لى: صلاح.. باستأذنك تأجل اسمك الأسبوع ده وتبقى تمضى موضوع تانى جديد..

يستأذننى.. أنا..

وقبل أن أفيق قال لى: وجدى راجع من غزة عامل موضوع ممتاز ومش معقول إن اسمه واسمك يظهروا سوا فى عدد واحد لأول مرة.!

كان الزميل محمد وجدى قنديل هو الذى أدخلنى دار أخبار اليوم.. ورغم أنه كان يسبقنى فى العمل إلا أنه لم يسبق له أن وضع اسمه على أى تحقيق قدمه..

مبادئ.. وفى ذلك الأسبوع سافر إلى غزة مع المصور الأستاذ حسن دياب.. وأجرى تحقيقا صحفيا عن البؤس الذى يعيش فيه اللاجئون فى القطاع فى خيامهم.. وقد برع حسن دياب فى تصوير هؤلاء اللاجئين وقد بدت صورتهم خلف الأسلاك الشائكة التى كانوا يعيشون خلفها وكأنهم مسجونين فى سيبريا..

كان طبيعيا أن يضع وجدى قنديل اسمه على الموضوع.. ولتأثره بالأستاذ هيكل الذى كان يوقع باسم «محمد حسنين هيكل» فقد ظهر اسم وجدى منذ هذا التاريخ: محمد وجدى قنديل.. ولكن الفرق أن محمد هو الاسم الأول للأستاذ هيكل لأن والده اسمه حسنين..

وكان أصدقاء هيكل القريبين ينادونه باسم محمد.. أما نحن فكنا نقول له: الأستاذ هيكل..

وقد صعب على الأستاذ هيكل أن تخرج آخر ساعة فى عدد واحد وفيها اسمان يظهران لأول مرة: اسمى واسم وجدى.. ولم أغضب أو أتألم.. فقد كنت واثقا من قدرتى على تقديم موضوعات أخرى كثيرة، وكانت زمالتى لوجدى وعلاقتى به بل وامتنانى له لأنه الذى أدخلنى إلى أخبار اليوم تجعلنى راضيا وسعيدا بتوفيقه فى أول موضوع فى حياته، بالإضافة إلى القيمة التى أعطاها لنا الأستاذ هيكل بالنسبة لظهور اسم صحفى على تحقيق ومنعه ظهور اسمين جديدين لأول مرة فى عدد واحد..! ومن يعود إلى آخر ساعة القديمة يجد أن التحقيقات التى تحمل أسماء كتابها كانت قليلة جدا فيما عدا مقالات الكتاب الكبار.

●●●

بعد أسبوعين جاءت فكرة التحقيق الذى وقعته لأول مرة فى حياتى.. كانت حركة الجيش المباركة قد قررت تعبيرا عن إنهاء الملكية فتح قصر عابدين كى يزوره المواطنون العاديون.. ولكن كيف أتناول ذلك فى تحقيق صحفى مبتكر؟ إن التحقيقات الصحفية تتناول عادة موضوعات كثيرة مكررة ولكن الخلاف بين تحقيق وآخر فى الفكرة التى يتم بها تقديم التحقيق .

وكانت فكرتى فى فتح قصر عابدين للمواطنين العاديين أن اختار فلاحا وزوجته أصحبهما إلى جوانب قصر عابدين وأسجل بالصورة والتعبير المشاعر التى يعكسها دخول واحد من قاع المجتمع المصرى إلى قمة الفخامة والأبهة.

وكان على أن أختار فلاحا حقيقيا.. فلاح من باطن الريف المصرى.. واستعنت بصديق يسكن فى قرية إمبابة ومكانها الآن مدينة المهندسين..

وكانت كل هذه المنطقة المليئة بالمبانى اليوم عبارة عن أرض زراعية وقرية بمعنى القرية ببيوتها الطينية ومبانيها ومزارعها وترعها وسواقيها.. وذهبت إلى القرية وتعرفت على الفلاح وزوجته وكان لهما ابن صغير قررت أن أصحبه معهما.. أسرة مصرية من طين مصر وفلاحي مصر تدخل قصر عابدين ربما لأول مرة فى تاريخ هذا القصر الذى تعود أن يستقبل زواره بالملابس المزركشة وأغلى الثياب والعطور.. هذا هو فلاح حقيقى بجلبابه وزوجة فلاحة تمسك بذراع زوجها خوفا وهى باللبس التقليدى للفلاحة والابن الصغير يرتدى جلبابه الملئ ببقع التراب على اللحم!

وصحبت المصور عبده خليل..

وكنت قد حصلت على موافقة الضابط المسئول لتصوير الموضوع..

وعندما أتذكر اليوم بعد كل هذه السنوات الصور الطبيعية الرائعة التى سجلها عبده خليل والتلقائية الصادقة التى كانت تعبر بها هذه الأسرة الريفية عن مشاعرها أعجب للتوفيق الذى حققه لى الله فى اختيار الفلاح والزوجة والابن. فقد كان من الممكن أن «يبوظ» التحقيق إذا كان شكل الفلاح غير موفق.. ولعل سر التوفيق الذى حققه لى الله سواء فى هذا الموضوع أو فى غيره أساسه الإحساس الشديد بالإخلاص.. لقد كان إخلاصى لعملى جادا.. ولذلك كان طبيعيا أن يكافأنى الله بالنجاح.

لم تكن الصور التى سجلها عبده خليل عادية..

فمن الصالونات إلى غرف النوم وإلى مكتبة فاروق.. وكان السؤال الذى يلح على وأنا أجوب مع الأسرة جوانب القصر الذى كنت أنا الآخر أدخله لأول مرة: أين العرش؟

منذ وعيت على الملكية وأنا أقرأ أن الملك اعتلى العرش، أو جلس على العرش..

وسألت الضابط المسئول: أين العرش الذى كان يجلس عليه فاروق؟

ونظر إلى الضابط مبتسما ورافقنى إلى قاعة خاصة كبيرة كان الملك يستقبل فيها كبار الزوار.. وكان يتوسط صدر هذه القاعة كرسيان ضخمان.. أحدهما أكبر من الآخر وتنطق زخارفهما بالفخامة.. وكان واضحا أن الكرسى الكبير للملك والآخر للملكة.. وجلس الفلاح على كرسى الملك وزوجته على كرسى الملكة أما الطفل محمد فقد توسطهما واقفا.

●●●

كان فى كل جريدة ومجلة رقيب خاص يراجع موضوعاتها ولا ينشر أى خبر أو موضوع إلا إذا اعتمد الرقيب نشره.. وكان الرقيب الخاص بآخر ساعة فى ذلك الوقت المرحوم رجاء العزبى وهو ديمقراطى وأصبح فيما بعد رئيسا لتحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.. وذهبت بروفات الموضوع إلى الأستاذ العزبى، ووقفت من بعيد أرقبه فى خوف.. وازداد خوفى وأنا أراقب حركات شفتيه وتعبيرات «ده كلام مش معقول» التى ظهرت على وجهه.. وتضاعف خوفى عندما طلب أن يشاهد صور هذا الموضوع بالذات مع أن العادة أنه كان يكتفى بقراءة البروفات المكتوبة .. وجاءوا بصفحات الموضوع كله وقد تم «توضيبه» على ثلاث صفحات.. ووضعت الصفحات الثلاث أمامه وارتج مذهولا.. وأيقنت أنه لن يوافق على الموضوع.. وأنه بعد كل هذا الجهد الذى بذلته سيعطل نشره.. وقبل أن أفيق من كابوس عدم النشر وقعت آخر مفاجأة كان يمكن أن أتوقعها.. فتح الباب الذى كان يفصل بين حجرة الأستاذ هيكل وحجرة سكرتير التحرير التى كان يجلس فيها

الرقيب على مكتب جانبي.. ودخل من الباب شخص طويل القامة يرتدى ملابسه العسكرية وخلفه الأستاذ هيكل.. كان هذا الشخص هو البكباشي جمال عبدالناصر وكان فى زيارة هيكل فى ذلك الوقت .. وأراد هيكل أن يمرجه على نسخ من البروفات قبل الطبع فدخل به إلى حجرة سكرتير التحرير وكانت بروفات موضوعى على المكتب.. ونظر جمال عبدالناصر إلى بروفات الصور. وشرح له هيكل الموضوع.. وابتسم عبدالناصر قائلا: عال..

وكانت هذه الكلمة من عبد الناصر إشارة واضحة إلى الرقيب الجالس بعنى أن المسئولين فى الجيش الذين اختاروه لرقابة ما ينشر لا يعارضون فى نشر الموضوع.. ونظر لى المرحوم رجاء العزبى يومها قائلا: خلاص يا عم.. هذه إمضائى.. عاوزنى أقول إيه بعد كده؟

ودارت ماكينة الطباعه تطبع ملزمة المجلة التى يتصدرها موضوعى وقد وضع له الأستاذ هيكل عنوان: الشعب يجلس على العرش.. وجاءتنى أول نسخة من البروفة المطبوعة وفيها الموضوع الذى يحمل فى اخره اسمى.. وكانت المفاجأة عدم ظهور حرف «الراء» فى آخر الاسم.. وأمر هيكل بإيقاف الماكينة وإضافة الحرف المفقود وقد أضيف بخط اليد..

وعادت الماكينة تدور وتدور..

مثل أيام الحرب تدور وتدور

مثل سنوات العمر تدور وتدور ولا تبقى إلا الحكايات

عالم من البترول!

ما كدت أنا وشريكة مشوار كفاحى الطويل رحمها الله نبدأ فى تناول إفطارنا حتى جاء صوت المذيع الشهير أحمد سعيد مجلجلا عبر إذاعة صوت العرب :وقعت إسرائيل فى الفخ... وقفزت من الكرسى الذى كنت أجلس إليه، وكدت من حماسى وفرحتى أجرى فى غرف البيت وأنا أضرب بذراعى فى الهواء تعبيرا عن اقتراب الساعة التى كنت انتظرها وبعد الجو المشحون الذى عشنا فيه فى مصر فى تلك الأيام اعتبارا من ١٦ مايو ٦٧ حتى ذلك اليوم الذى لا أنساه يوم الاثنين ٥ يونيو.

كنت فى شهر فبراير قد سافرت إلى انجلترا للتدرب فى صحف التايمز والاوبزرفر وقمت بجولة فى عواصم أوربا عدت منها فى منتصف مايو لأجد الأحداث فى الانتظار، فقد أعلنت مصر حالة الطوارىء واستدعت قوات الاحتياطى للتعبئة استعداداً لمواجهة مع العدو الإسرائيلى بعد أن هدد باحتلال دمشق. وجاءت الاخبار ـ هكذا قيل لنا ـ تؤكد أن الحشود الإسرائيلية على الجبهة السورية تنتظر الانطلاق.

ومثل ملايين المصريين رحنا نتابع الاحداث بلهفة وشغف وثقة فقد كان فى اعتقادنا أن مصر هى أقوى دولة فى العالم، وأن قواتنا باعتبارها

درع الشرق الاوسط سوف تنتقم مما حدث للجيش المصرى فى ٤٨ ثم بعد ذلك فى ٥٦ وتقضى على اسرائيل هذه الجولة .

لم يكن يهمنا من الذى يقول الحق ومن الذى يغالط فقد كنا واثقين فى قيادة جمال عبدالناصر وفى كفاءة القيادات العسكرية المهيبة التى يرأسها المشير عبدالحكيم عامر.. صحيح اننى عرفت أن لقب المشير يعنى جنرال حرب خاضها وانتصر فيها بينما لم يسبق لعبدالحكيم أن انتصر فى معركة أو أى حرب كى يحصل على لقب مشير الا أننا لم نكن نسأل فى ذلك كله فقد كان ينطبق علينا بالفعل ما كتبه صلاح جاهين فى أحد أغانيه الوطنية «قول ما بدالك أحنا رجالك» !

وكان طبيعيا ـ والأمر كذلك ـ أن ينفجر أحمد سعيد فى اذاعة صوت العرب عندما بلغته أخبار بداية الحرب ويعلن بكل الفرحة أن اسرائيل قد وقعت فى الفخ.

ما الذى حدث لنا بعد ذلك؟

هل كان ما حدث حقيقة أم كابوسا؟

كيف مرت بنا الأيام بعد ذلك.. بعد الفرحة واحساس القوة والأمل والتفاؤل الذى كان يملأ نفوسنا؟

كانت دواعى الحرب كما قيل لنا تقتضى أن نطفىء الانوار وأن نطلو نوافذ البيوت باللون الأزرق، وأن نبنى ستارا من الطوب أمام مدخل كل عمارة حتى إذا سقطت القنبلة لاتصل شظاياها إلى السكان الذين سيتجمعون فى مدخل المبنى أو البيت أو العمارة التى يسكنونها.

ولم يكن هناك أى داع لكل هذا الذى انفقناه على طلاء النوافذ ولصق الورق فوقها واقامة السواتر أمام مداخل العمارات، ولا حتى اطفاء الانوار فلم يعد الطيار يعتمد فى رؤية أهدافه على العين وإنما يتم كل شئ آليا صور مسجلة وكومبيوتر تخزن فيه الاهداف وصواريخ توجه إلى الهدف المرسوم..

وأصابنى اكتئاب داخلى عميق.. وفى الوقت الذى كان الاكتئاب هو الرفيق لكل المصريين إلا أن إحساسى بالاكتئاب كان مضاعفا.. فقد كنت مكتئبا من الهزيمة ومما جرى لنا ولكن اكتئابى الاكبر كان من الصدمة التى شعرتها.. فكيف وأنا أعمل فى مطبخ الصحافة بالقرب من مواقع وصانعى الاحداث لم أدرك حقيقة الوهم الذى كنا نعيشه.. كيف لم أر الواقع وصدقت ما كان يقال لنا بكل هذه السذاجة.. هل إلى هذا الحد كنت مغفلا أو ساذجا أو واقعا تحت تاثير غسيل المخ الذى تقوم به أجهزة الاعلام؟ ولقد كنت واحدا من العاملين فى هذه الاجهزة ومن الذين شاركوا فى عملية الغسيل التى تتم . فلم أكن إذا مغفلا أو ساذجا ولكننى كنت مجرما وشريكا كاملا فى النكسة!

وليس أسوا من أن يواجه الانسان ضميره والحقيقة بينهما واضحة. وأصبحت أعيش فى سجن كبير فى داخله سجون صغيرة ينتهى بى وحدى مع نفسى.. وكان من الممكن أن يقضى الاكتئاب على، لكننى قررت أن أضىء لنفسى شمعة..

وبدأت أبحث عن شىء يحرك النفس ويبعث فيها الأمل ويوقظ فيها مشاعر النور...

ووجدت ضالتى فى البترول.. كان قد انضم للعمل فى الاهرام الدكتور محمود أمين وهو من الخبراء العاملين فى مجال البترول الذين تعرضوا للغضب بعد خروج الدكتور عزيز صدقى من الوزارة وكان يجمع بين وزارتى الصناعة والبترول.

وضم الاستاذ هيكل الدكتور محمود أمين إلى الاهرام ليكتب فى مجال البترول ليكون أول متخصص فى هذا المجال.

وبسرعة بالغة أصبحنا ـ محمود أمين وأنا ـ على علاقة قوية.. جذبنى إليه أنه كان يكتب فى موضوع بالغ الصعوبة لكنه فى الوقت نفسه يبدو مثل ضوء شمعة فى كهف الظلام الدامس الذى كنا نعيشه.

لم يكن صعبا على ادراك أن عمل الدكتور محمود أمين فى الاهرام هو لفترة مؤقتة وأنه ما أن تنصلح الأحوال حتى يعود إلى تخصصه ولهذا قررت أن اتعلق بالبترول.. وساعدنى على ذلك قراءات قديمة. كنت قد قرأتها عن دول الخليج العربى وهى دول يصدق عليها قول أن تاريخها كتب بمداد من البترول..

وبدأت ما يمكن أن أسميه رحلة الالتهام. التهام المعلومات والكتب والموضوعات وكل ما يتعلق بالبترول.. وفى البداية كنت اتصور أننى استطيع الاقتصار على دراسة تاريخ مصر والبترول، لكننى بسرعة شديدة وجدت أننى لا أستطيع أن أفصل بين دراسة البترول فى مصر وبين دراسته فى العالم العربى، ثم مع مرور الايام اكتشفت أنه لا يمكن عزل بترول العرب عن بترول العالم.

وكنت كلما توغلت فى دراسة البترول كلما أدركت أنه عالم بلا حدود.. إنه التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والقانون والسياسة والتكنولوجيا ـ

والمحاسبة والطب والهندسة والعلوم.. وكل علم من علوم الحياة وكنت كلما قرأت عن البترول أكثر احس أنه لايزال أمامى الكثير لمعرفته.

وبسبب دراستى للبترول عرفت معنى أن يكون للصحفى أرشيف خاص من المعلومات التى يقرأها ويجمعها وأهم من ذلك أن يعرف كيف يستخرجها ويستفيد بها..

وكان من سوء حظى أن الكومبيوتر لم يكن قد عرف بعد فى ذلك الوقت بالصورة التى أصبحت متاحة اليوم ولو كان هذا الكومبيوتر متاحا لكنت بالتأكيد تعلمته واستخدمته فى تخزين الاف البطاقات التى كتبتها..

وفيما بعد.. فى أثناء جمع عديد الأوراق التى كنت احتفظ بها عجبت لحجم البطاقات التى قمت بكتابتها لدرجة أننى لم أعرف كيف كنت أجد الوقت لكتابة هذا كله.

وإذا كان حظى السىء هو فى عدم ظهور الكومبيوتر فى ذلك الوقت فلقد كان من حسن حظى أن البترول أخذ دورا فى الحياة السياسية والاقتصادية العربية والعالمية لم يسبق أن أخذه وذلك عندما قررت دول البترول العربية لأول مرة ـ وأظنها آخر مرة ـ المشاركة فى المعركة العربية وتخفيض إنتاجها من البترول وحظر تصديره إلى أمريكا والدول المساندة لإسرائيل وذلك بعد عشرة أيام من العبور العظيم لقواتنا فى أكتوبر ٧٣.

وكان من حظى أن أعيش بعد ذلك فترة البترول العربى فى مجده وأن أشهد وزراء البترول العرب وهم يعاملون معاملة الملوك والرؤساء فتعزف الموسيقى لوصولهم وتفرش لهم الأبسطة الحمراء، ويقف العالم على أطراف أصابعه عند كل اجتماع يعقدونه. وكان من حسن حظى أكثر بالطبع أن أعيش انتصار ٧٣ وأن اغسل النفس بعض الشىء من مرارة الهزيمة الموجعة

التى صدمتنى وصدمت آلامى وأحلامى وقد مرت على هذه الهزيمة سنوات طويلة ورغم ذلك فاثارها مازالت حية وباقية.. والا فعلى ماذا يتفاوض الفلسطينيون مع اسرائيل والسوريون مع اسرائيل، وعلى ماذا اتفق الاردن مع اسرائيل.. فالهزيمة محفورة فى صفحات الزمن الذى نعيشه..

وفى خلال سنوات التخصص مع البترول تنقلت مع وزراء البترول فى عديد الاجتماعات التى عقدوها.. ورأيت العالم من باب جديد حتى خيل لى أنه عالم من البترول..

ولكن الاجتماع الذى فاتنى وكنت أتمنى لو حضرته هو اجتماع فيينا الذى تم فيه اختطاف وزراء البترول على يد الارهابى كارلوس.. وقد أخذ كارلوس شهرته من هذا الحادث الشهير والفريد.. ودارت الايام والسنوات ليتم خطف كارلوس نفسه من السودان بطريقة مثيرة للضحك فقد تم إدخاله المستشفى لإجراء عملية ختان له بعد أن أبدى رغبته فى الزواج من سودانية مسلمة أحبها.. وبعد إجراء العملية وفى اثناء تأثير المخدر تم نقله إلى الطائرة التى طارت به إلى فرنسا لمحاكمته. ولم تكن هذه إلا قصة واحدة من عديد القصص التى عشتها فى سنوات تخصصى فى البترول.

وقد استمرت هذه المرحلة فى حياتى نحو عشر سنوات بين ٦٧ و ٧٧ إلى أن كتب على أن أغير طريقى بسبب حدث جديد اهتز له العالم.. فكما كانت حرب ٦٧ هى سر تحولى إلى البترول واستفادتى العظيمة منه ومن قراءاته ومجالاته كذلك جاء حدث زيارة الرئيس الراحل أنور السادات إلى القدس فى نوفمبر ٧٧ لتصنع تحولا جديدا فى مسيرة عملى الصحفى ومشوار حياتى ولكن هذه المرة إلى السياسة.

لقاء مع .. العالم!

كان السفر إلى الخارج من أعظم الأحلام التى تطلعت إليها بعد الاشتغال بالصحافة. وزاد من هذا الشوق الظروف التى كانت مصر تعيشها فى ذلك الوقت فى السنوات الأولى من ثورة يوليو ٥٢. فبعد العدوان الثلاثى على مصر عام ٥٦ تم منع سفر المصريين إلى خارج البلاد إلا بقرار رسمى. وكان سفر أى صحفى يقتضى صدور قرار يوقعه جمال عبدالناصر شخصيا بصفته رئيس الوزراء فى ذلك الوقت.

وقد أدت عملية المنع هذه إلى زيادة ولهفة المصريين للسفر إلى الخارج وراجت فى تلك السنوات مهنة المضيفات فى شركة مصر للطيران فقد كان ينظر إلى ما تعطيه هذه المهنة من أمتياز خروج صاحبتها من مصر والنزول فى عواصم العالم وهو ما كان محروما منه الملايين.

وزاد الموقف فى السنوات التى أعقبت تطبيق الاشتراكية فقد تم الغاء استيراد الكثير من السلع وأصبح أعتماد المواطن على ما ينتج محليا.

وعندما اتذكر الأسفار التى قمت بها أنا وغيرى من المصريين الذين أتيحت لهم فرصة السفر مثلى أتذكر الساعات الطويلة والفلوس التى

انفقناها فى شراء أشياء كثيرة كان سبب شرائنا لها هو احساس الحرمان الذى كنا نعانيه وقد دفعنا هذا الحرمان إلى ملء حقائبنا بالكثير الذى ظل سنوات طويلة مخزونا فى بيوتنا وتحول معظمة إلى كراكيب تزحم المكان دون أى فائدة وهو ما لم نعد نعانى منه هذه الأيام بسبب ارتفاع مستوى الانتاج المصرى وأمكانه تلبية حاجاتنا فى مجالات عديدة وبسعر أرخص من المنتج الأجنبى خاصة فى مجال الملابس، وأيضا بسبب سياسة الانفتاح والاستيراد وأن كان رأيى أنها تحتاج إلى ضوابط تقلل من هذا الإفراط الذى أصبحت الحظة فى استيراد سلع لسنا فى حاجة ضرورية إليها اللهم إلا تحقيق المكسب لمستورديه وتعميق الفوارق الطبقية من خلال أرفف المحلات

لم يكن سفرى وأنا شاب صغير سهلا ميسورا بل كان بالغ الصعوبة بسبب افتقادى شهادة المعاملة العسكرية التى لعبت دورا دراميا فى حياتى إذ بسبب هذه الشهادة انتقلت من العمل فى أخبار اليوم إلى العمل فى الأهرام مع الاستاذ محمد حسنين هيكل بعد أن تولى رئاسة تحريره.

وفى الاهرام كانت هناك أكثر من فرصة سفر لم استطع تحقيقها إلى أن جائتنى دعوة فى أبريل ١٩٥٨ من شركة الطيران السكندنافية للسفر إلى الدول الاسكندنافية الدانمرك والسويد والنرويج فى مناسبة تشغيل الشركة طائرات كرافيل النفاثة وكانت تمثل فى ذلك الوقت ثورة فى التطور وأن كانت هذه الطائرات فيما بعد قد تضاءلت أهميتها بسبب ظهور النفاثات الأكبر والأوسع.

جاءتنى دعوة الشركة الاسكندنافية وقد أصررت على محاولة تلبيتها وبعد الجرى فى أروقة العديد من المصالح والجهات أصبح على إما أن أقدم شهادة المعاملة العسكرية لاستخراج جواز السفر أو أقدم بديلا أخر يتمثل فى شهادة ضمان موقعة من جهاز المخابرات العامة ولم يكن أمامى إلا البديل الثانى،

وقد ساعدنى فى الحصول على هذه الشهادة شاب كان يجلس فى أحد مكاتب جهاز المخابرات وكان موقعه فى ذلك الوقت خلف مبنى مجلس الوزراء.. وقد ظلت صورة هذا الشاب لصيقة فى ذاكرتى أحس باننى مدين له بتحقيق أمنيتى فى السفر إلى الخارج لأول مرة، وقد أصبح فيما بعد وزيرا للإعلام وهو السيد محمد-فايق (خرج من الوزارة عند استقالته فى مايو ٧١ مع سامى شرف والفريق محمد فوزى وشعراوى جمعة فى عملية الخلاف التى ثارت فى ذلك الوقت مع الرئيس الراحل أنور السادات).

وقد أختلفت مع السيد محمد فايق سياسيا إلا أننى لم أنس أبدا يوم دخولى مكتبة وعرض مشكلتى عليه فقال لى : يعنى إذا سافرت وهربت من البلد حتقع فى مشكلة هات الشهادة أمضيها لك! ومنذ سنوات تصادف أن أشتركت مع مجموعة من الأصدقاء فى رحلة تم أعدادها لتمضية رأس السنة فى طابا.

وكان السيد محمد فايق من بين أفراد هذه الرحلة وقد جاء مرافقا لأحد أفراد المجموعة، وكان من أول الموضوعات التى تحدثت فيها إليه ونحن فى الاتوبيس الذى ركبناه من القاهرة إلى طابا موضوع الشهادة التى أعطاها لى عام ٥٨ ولم يكن بالطبع يذكر شيئا عنها فلم تكن تمثل بالنسبة إليه أية أهمية، أما بالنسبة لى فقد كانت فى ذلك الوقت أهم شيء فى حياتى وقد رأيت من باب تقرير الواقع ورد الفضل إلى صاحبه أن أذكره للأستاذ محمد فايق.

جاء يوم السفر الموعود إلى اسكندنافيا وكنا مجموعة أذكر من بينهم الكاتب الكبير الاستاذ فكرى أباظة وكانت أول مرة أراه واقترب منه والاستاذ أحمد حمروش وكان يشغل وقتها مدير المسرح القومى والاستاذ الراحل

لطفى حسونة نائب رئيس تحرير الأخبار وأشهر من كان يكتب محاضر المحاكمات التى شهدتها الثورة لسرعته فى الالتقاط والكتابة وكان علينا أن نستقل الطائرة الكرافيل من بيروت ولهذا طرنا من القاهرة إلى بيروت حيث أمضينا ليلتين قبل أن نتجه إلى كوبنهاجن عاصمة الدانمرك وهكذا كانت بيروت أول بلد أراه فى حياتى رؤية العين، وربما لهذا السبب أحببت بيروت وأصبحت أتردد عليها فيما بعد كثيرا لقربها من مصر ولسهولة المواصلات إليها وهو ما جعلنى فى معظم أسفارى إلى دول الخليج العربى أضع بيروت محطة عبور فى السفر أو المجيء من الخليج. أن من نعم الله على الأنسان أن أفكاره الداخلية لا يقرأها غيره إلى أن يعبر هو عنها باية صورة من صور التعبير.. ولا أخفى أننى وأنا استقل الطائرة متجها بعيدا عن مصر كانت هناك أفكار كثيرة تحلق بى فى سماء أعلى من السماء التى ارتفعت إليها الطائرة.. وكان من بين هذه الافكار المرأة الغربية وما يقال عنها من تحرر وسهولة فى العلاقات وإعجاب ما بعده إعجاب بالرجل الشرقى..

وقد كان من أسباب هذه الأفكار ما تكتبه بعض الأقلام عن هذه المجتمعات الغربية والأباحية التى تسودها حتى تخيلت أن جميع نساء الغرب منحرفات أو داعرات!

ولم يعد الحديث هذه الأيام عن سهولة اصطياد المرأة الغربية بل تحول إلى الشذوذ الذى يحاول البعض تصويره بأنه أصبح سمة تلك المجتمعات.

ولعلنا نذكر ما قيل أيام انعقاد مؤتمر السكان فى القاهرة وكيف أن بعض الذين قادوا حملات الهجوم عليه قد اختاروا لترويج سلعتهم عناوين ضخمة وعبارات تبرز الشذوذ الجنسى الزاحف إلى هذا المؤتمر فى بلادنا قادما من الغرب بصورة عامة ومن الولايات المتحدة بصورة خاصة وهذه

المغالاة فى تصوير المجتمعات الغربية وعلى رأسها المجتمع الامريكى بأنها مجتمعات الشذوذ والفساد الخلقى والجنسى والانحرافات السائدة فوق أنها غير صحيحة تماما فإنها تسمم وتفسد عقول شبابنا بمعان مختلفة تماما عن التى يقصدها أصحاب تلك الحملات، فإذا كان المجتمع الامريكى وهو الذى يحكم العالم اليوم باعتباره أكبر قوة سواء رضينا أم لم نرض، وإذا كان هذا المجتمع الامريكى قد حقق كل الذى حققه علماؤه وخبراؤه وأطباؤه ومهندسوه وأبطاله وأدباؤه وفنانوه ومفكروه فى مختلف المجالات من اقتصاد وتكنولوجيا وعلوم وطب وفضاء ورياضة وثقافة وفنون.. الخ ثم يتم اختزال ذلك كله وتصويره للشباب الصغير على أساس أنه نتاج مجتمع فاسد أخلاقيا شاذ جنسيا رجاله يتزوجون من بعضهم، ونساؤه يتزوجن من بعضهن، فما أعظم النتائج التى يحققها الشذوذ أذن فى نظر هذا الشباب الصغير.

من المستحيل طبعا أن تكون كل هذه النتائج التى حققها الغرب والامريكيون فى مختلف المجالات قد حققها ناس جميعهم إما منحرفون أخلاقيا أو فاسدون أسريا أو شاذون جنسيا.

أن هذا الكلام عن شذوذ الغرب والذى يترسب بالتأكيد داخل شبابنا الصغير تكون نتيجته صدمة لهذا الشباب عندما تتاح له فرصة السفر إلى هذه البلاد التى يتوقع أن يسبح فيها فى بحر من الفساد فتصدمه صورة مختلفة وتجعله يصرف وقته فى البحث عن أماكن تلك الصور والاهتمام بها متجاهلا الأسباب الأساسية التى تحقق بها تقدم هذه الشعوب والمجتمعات.

صحيح أن فى هذه الدول أقلية شاذة ولكن ظهورها وتسليط الأضواء عليه سببه هو حريتها فى الاعلان عن هذا الشذوذ وحماية المجتمع لشذوذهم

وفى المقابل هناك أغلبية تحترم العمل وتبذل جهدها فيه ولا تستمتع بساعة راحة الا فى يومى الأجازة. أن بعض العرب لا يرون فى القاهرة إلا ملاهى شارع الهرم وفتيات الليل، فهل هذه الصورة هى مصر..

أن فى باريس وفى تايلاند مواخير يفوق الحديث عنها أى خيال فهل يعنى هذا أن كل الفرنسيين أو التايلانديين يعيشون فى ماخورة كبيرة؟

فى زيارة أخيرة للولايات المتحدة فى يونيو الماضى شاهدت فى أسبوع واحد من خلال التليفزيون الأمريكى صورتين متناقضتين : صورة مسيرة تضم الوف الشواذ من الرجال والنساء، وصورة مسيرة أخرى ضمت آلاف الشباب والفتيات أيضا وعنوانها أخلاقى وشعارها «دعونا ننتظر إلى ما بعد الزواج».

كانت مسيرة الشواذ التى شاهدتها بمناسبة مرور ٢٥ سنة على حصول حركة الشذوذ الامريكية على أعتراف أمريكا بها ذلك أنه فى يوم ٢٦ يونيو عام ٦٩ وفى منطقة اسمها سترون وول فى مدينة نيويورك هاجم البوليس مقهى خاصا يتردد عليه الشواذ.

ولكن زبائن المقهى بدلا من أن يهربوا كما كانوا يفعلون فى كل مرة قرروا مواجهة البوليس والصمود لضرباته مدة يومين مما آثار الرأى العام الأمريكى وجعل الكونجرس الأمريكى يوافق على تشريع يعترف بحق المواطن الأمريكى فى اختياراته.

وقد اعتبر الشواذ هذا اليوم ـ ٢٦ يونيو ـ عيدا لهم، وبمناسبة مرور ٢٥ عاما سمح لهم بتنظيم مسيرة كبيرة كان أغرب ما فيها ـ بالنسبة لى على الاقل ـ أن الذين اشتركوا فيها وقفوا صامتين لمدة ثلاث دقائق حدادا على زملائهم الذين ماتوا بمرض الايدز.

وبعد يومين من هذه المسيرة كان التليفزيون الامريكى ينقل صورا أخرى لمسيرة سار فيها عدة آلاف معظمهم من الشباب الصغير وقد حمل كل منهم لافتة على شكل علم صغير واتجهوا إلى فناء حديقة واسعة وغرزوا فيها هذه الآلاف من الاعلام الملونة التى يحملونها أشارة إلى حركتهم التى حملت شعار «دعونا ننتظر إلى ما بعد الزواج» .. وهذه الحركة تتسع وتنتشر وأصبحت تضم أنصارا كثيرين مبداهم ألا يقيم الشاب أو الفتاة أية علاقة جنسية إلا بعد الزواج.. وهى كما هو واضح حركة اخلاقية معاكسة تماما لحركة الشذوذ والانحرافات. التى فى هذه المجتمعات.

فليست كل مجتمعات الغرب شاذة وليست كلها بالطبع سوية. فهناك المحافظ وهناك المتحرر وهناك المنفلت. ولو أتيح لأى شاب أن يذهب إلى الريف الغربى أو الامريكى فسوف يجد مجتمعا محافظا إلى حد اتهامه بالرجعية.

ولعل هذا ما يجعلنى أنبه شبابنا إليه عندما يسافرون إلى الخارج فإذا كانت القاهرة ليست ملاهى وكباريهات شارع الهرم، فإن باريس أيضا ليست هى البيجال، وكوبنهاجن ليست ملاهى العرى ولندن ليست بيوت الدعارة، وأمريكا ليست مقاهى الشذوذ، وتايلاند ليست حمامات الساونا وما يحدث فيها وطوكيو ليست فقط حى الجنزا. أبدا فهناك ملايين العاملين والعاملات فى جدية ونشاط وإخلاص ولا وقت لديهم الا للعمل.. وهناك دور العلم والمكاتب والثقافة ومراكز الاشعاع الفنى والفكرى والمتاحف العديدة التى تحمل تاريخ هذه الشعوب وتاريخ التقدم الذى وصلوا إليه. هذه هى الصور التى نستطيع أن نتعلم منها ويعرف منها شبابنا كيف يصنعون حاضر ومستقبل بلادهم.

أول حديث سياسى مع الشيخ الشعراوى

حتى عام ١٩٨١ لم يكن أحد قد قرأ لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى أى رأى سياسى، كانت أحاديثه سواء فى التليفزيون أو الصحافة قاصرة على الآراء الدينية، وكان الزميل المرحوم أحمد زين مدير تحرير الأخبار هو الذى ابتكر فكرة أن يكتب صفحة اليوميات فى جريدة الأخبار على شكل حديث متصل لفضيلة الشيخ الشعراوى يتناول فيه تفسير آيات القرآن، وقد بدأ هذه الفكرة فى منتصف السبعينات وما زالت مستمرة حتى اليوم بعد رحيل صاحبها المرحوم أحمد زين.

ولكن بعد اغتيال الرئيس محمد أنور السادات فى السادس من أكتوبر ١٩٨١ ولظروف الاغتيال التى قام بها من أعلنوا انتماءاتهم إلى تيارات إسلامية وجدت أنه من الضرورى سؤال أحد رجال الدين المعروفين فى هذه القضايا التى تم فيها خلط الدين بالسياسية بالاغتيال..

ولم أكن أعرف حتى ذلك الوقت فضيلة الشيخ الشعرواى. وصحبنى الزميل محمود مهدى رئيس القسم الدينى فى الأهرام فى ذلك الوقت إلى مسكنه أمام مسجد الحسين.

وكان أول لقاء لى معه والتعرف عن قرب على شخصيته التى تجذب من يجلس إليها بسبب فرط بديهته وسرعة الرد على أى سؤال يوجه إليه.

وأذكر أننى وسط الأسئلة الطويلة التى وجهتها إليه قد حاولت التغيير من إيقاع الحديث فطلبت إليه أن يقول لى إجابات على عدد من الأسئلة فى جملة واحدة وفى كلمات محدودة، ويشهد الله أنه كان يجيب على بأسرع من الكومبيوتر ودون أن يغير كلمة واحدة.. وعندما وجدت ـ وأنا أكتب الحديث ـ أننى فى حاجة إلى زيادة الجرعة من هذا النوع من الأسئلة اتصلت به تليفونيا وسألته وأجاب على الفور وكأنه كان مستعدا بالإجابات عارفاً للأسئلة.

كان أول سؤال وجهته إليه فى دفعة الأسئلة السريعة هو: ماهو فى رأيك أفضل أنواع الحكم؟

قال: أن يحكم الحاكم نفسه أولا

قلت: ومن هو أقرب الناس إلى الله ؟

قال : أوثقهم بمنهجه

قلت: ومن هو أحب الناس إلى قلبك؟

قال: الذى لا يجاملنى بإخفاء عيب فى

قلت: ومن هو أبعد الناس عن الدين؟

قال: الذى يرتبط بفكر البشر

قلت: وماهو القضاء؟

قال: هو ماحكم فيه بحيث لا يتأثر باختيارك

قلت: وماهو القدر؟

قال: مايجرى عليك لا ما تجريه على نفسك

أما الأسئلة السريعة التى وجهتها إليه تليفونيا وأجابنى عليها بسرعة كانت:

سؤال: ماهى الحياة؟

قال: الفرصة التى لانعرفها الا بعد أن نفقدها.

قلت: وماهو الموت؟

قال: هو الحقيقة التى عشنا نشك فيها

قلت: ماتعريفك للتعصب؟

قال: جبروت مستتر

قلت: والتطرف؟

قال: جهل مركب

قلت: والاغتيال:

قال: جبن عن مواجهة المغتال.

انتقل بنا الحوار إلى سؤال عن رسالته إلى الحاكم وكان الرئيس حسنى مبارك قد تولى فى ذلك الوقت رياسة الجمهورية فقال مجيبا على سؤالى: قبل أن تكون حاكما كنت مسئولا عن نفسك وحدك، وبعد أن صرت حاكما صرت مسئولا عن كل الناس

قلت: وماذا تدعو الله له به؟

قال: أقول اللهم أعنه على ما حملته ويسر له من بطانة الخير من يزين له أمر الآخرة قبل أن يزين له أمر الدنيا

قلت: ماذا تقول في رسالة توجهها إلى المحكوم؟

قال: أقول للمحكوم أعن الحاكم مادام على حق. ولاتنافقه بباطل فإنك إن تقربت إليه لحظة سيعرف قدرك عنده لحظات وقد قلت قبل ذلك أنك قبل أن تطلب من الحاكم أن يكون شجاعا في الحق يجب أن يكون المحكوم شجاعا في ألا يجانب الحق؟ وأنا اتحدى أن تأتى لى بجزئية وقف فيها انسان إلى جانب حق الله وناله سوء.

وفى هذا اللقاء روى لى فضيلة الشيخ الشعراوى أهم محطات حياته وقد كانت المحطة الأولى فى عام ١٩٥٠ وكان يكتب أسبوعيا حديثين يعطيهما إلى أحد رؤسائه ليقرأ هذا الرئيس بصوته أحد الحديثين أمام الميكروفون ويتقاضى عشرة جنيهات عنه، وأما الحديث الثانى فكان يقرأه الشيخ الشعراوى بنفسه وتصرف الاذاعة ١٧٠ قرشا مكافأة له وكان الشيخ الشعراوى يعمل ويقيم فى طنطا فى ذلك الوقت وكان عليه أن يتحمل مصاريف السفر إلى القاهرة لإعطاء الحديث الذى أعد مادته لرئيسه وإلقاء حديثه الذى يتقاضى عنه الـ ١٧٠ قرشا، ولكن بعد خمسة أسابيع جاء فى تقرير وضع عنه فى الاذاعة «إن هذا الشيخ صوته غير ميكروفونى ولا يصلح لإلقاء الأحاديث» فكان أن أوقفت الإذاعة تعاملها معه.

وفى الفترة من ٥١ إلى ٦٣ رحل الشيخ الشعراوى إلى السعودية ثم تركها عند ما اشتدت الأزمة بين مصر والسعودية وعمل بضع سنوات فى الجزائر قبل أن يعود مرة أخرى إلى القاهرة وعندما وصل الشيخ الشعراوى إلى درجة مدير عام وجاء عليه الدور لترقيته إلى درجة وكيل وزارة تعطلت

ترقيته لسبب لم يعرفه، وظل حبيس درجته.. ولكن شاءت الظروف أن يصبح الشعراوى نفسه وزيراً للأوقاف فى عام ١٩٧٦ وكان من أول الأوراق التى عرضت عليه صورة المذكرة التى كتبها أحد المديرين عندما جاء دور الشعراوى للترقية إلى وكيل وزارة وقد كتب فيها· أن الشيخ الشعراوى رغم علمه وخلقه فإنه لا يصلح وكيل وزارة لإنقطاع الصلة بينه وبين شئون الإدارة.

ولم يكن كاتب هذه المذكرة قد ترك الوزارة بعد وإنما كان مديرا قديما بها، وعندما سألته عما فعله فيه قال لى على الفور: رقيته إلى وكيل وزارة فقد كان الدور عليه ولأنه بالفعل كتب وقال الحق والصدق فأنا فعلا لا أجيد شئون الإدارة.

كان الحديث مع الشيخ الشعراوى طويلاً ومرهقا فى الوقت نفسه.. وقد نشرته على ثلاث حلقات متتالية فى الأهرام واحتاج الأمر أن أفرغ الحديث من شريط التسجيل ثم أعيد «تربيط» فقراته.. فمن طبيعة الشيخ أن يطلق العنان لأفكاره وهى طريقة ترضى المستمع لكنها تكون مرهقة جدا فى الأحاديث المكتوبة نظرا لتقيد الكاتب بمساحة محدودة.

كان الحديث عن مواصفات الحاكم العادل وواجبات المحكوم عندما قلت للشيخ: يافضيلة الشيخ لقد كان عمر بن الخطاب من أعدل الحكام كان من الواضح بل من المؤكد أنه كان فى حضن الله ومع ذلك فقد قتل.. قتلوه اليست تلك مصيبة؟

انتفض الشيخ من كرسيه هب واقفا مشتعلا بالحماس وهو يقول ولمن تظن المصيبة؟ هل هى مصيبة لعمر أم مصيبة لقاتلة؟ إن الذى يتصوره البعض أنهم برصاصة يمكنهم أن يغيروا التاريخ يخطئون.

قلت له: يافضيلة الشيخ ماذا كنت تقول لخالد الاسلامبولى (الذى قام باغتيال أنور السادات) لو جاء إليك؟

قال لى الشيخ الشعراوى: سافترض معك أن مؤمنا متمسكا بتعاليم إسلامه ضاق بما يراه من عدم إعمال لأحكام الإسلام فى بلده وجاء يسألنى: ما العمل؟ أقول له ان الرسول ﷺ لم يدع لنا اجتهادا فى الإجابة على سؤاله. فهو عندما سئل من أحدهم: بم تنصحنى إن ادركنى هذا، اجابه: أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فإن لم يكن للمسلمين إمام ولا جماعة كما نحن الآن قال له الرسول عليك خاصة نفسك ولو وصل بك الأمر إلى أن تعض بأصل شجرة إلى أن يقضى الله أمرا.

قلت له: زدنى يا فضيلة الشيخ قال الشيخ الشعراوى: الرسول طلب إليه أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فإن لم يكن للمسلمين إمام ولا جماعة كما نحن الآن، قال له الرسول عليك خاصة نفسك ولو تعض فيها بأسنانك لكى تكظم غيظك.

كان هذا بعضا من الحديث الطويل الذى أجريته مع الشيخ الشعراوى وكان يتحدث فيه لأول مرة عن السياسة وإن كان قد أصبح يتحدث بعد ذلك كثيرا فى أمور السياسة وكانت المفاجأة التى قالها لى ولم أعرفها إلا منه أن خالى الشيخ حسن مأمون رحمه الله وكان قد تولى فى عام ١٩٦٤ مشيخه الأزهر فإن أول ماقام به بعد أن تولى المشيخة أنه نادى الشيخ الشعراوى وعينه مديرا لمكتبه. وقد اعترض الشعراوى يومها على هذا العمل لأنه سبق تعيين خالى الشيخ حسن مأمون صدور قانون جديد للأزهر هو القانون ١٠٣ الذى يسلب شيخ الأزهر كل الاختصاصات التى كانت له

من قبل ويعطيها للوزير المختص بشئون الأزهر. وقد اعتبر الشيخ الشعراوى وشاركه الشيخ حسن مأمون رأيه أن هذا القانون يمثل اساءة إلى الأزهر، وقال الشيخ حسن للشعراوى أن أول عمل سوف يقوم به هو إعداد مذكرة عن هذا القانون لتعديله وأنه اذا لم يوفق في ذلك فسيقدم استقالته. وقال الشعراوى وأنا قبلك.

وفى روايته عن هذه الفترة التى عمل فيها مع الشيخ حسن مأمون قال الشعراوى أنه كان من النادر أن يزور شيخ الأزهر زائر أو تدخل مكتبة ورقة بسبب القانون الجديد.

وحتى يشغل وقته قرر الشيخ حسن مأمون العمل فى إصدار الفتاوى وقد تأثر فى ذلك بالفترة التى عمل فيها مفتيا قبل أن يتولى مشيخة الأزهر. ويضحك الشيخ الشعراوى قائلا أن الشيخ حسن فشل فى تعديل القانون ١٠٣ وتحققت مشيئته بالاستقالة ولكن بطريقة غير التى كان يريدها فقد كان رحمه الله يكره «الاشتراكية التى بدأت تنتشر ويتغنى بها الجميع وحدث أن تحدث أحد الذين زاروه عن الاشتراكية وكرر الكلمة أكثر من مرة بطريقة ازعجت الشيخ حسن الذى التفت إليه قائلا: أنا لا أحب أن أسمع هذه الكلمة «الاشتراكية» مرة ثانية!

ويضيف الشيخ الشعراوى أنه فى ذلك اليوم تنبا بإقالة الشيخ حسن وقد تحقق ذلك بالفعل فى اليوم التالى عندما سمع الشيخ حسن مأمون وهو فى طريقه إلى مكتبه خبرا يذيعه الراديو يعلن فيه أن الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر قد قدم استقالته وتم قبولها وكانت هذه الاستقالة ـ غير المقدمة ـ من المرات القليلة التى سمح فيها نظام جمال عبد الناصر لأحد المسئولين فى الدولة بتقدمها

فى طريق الوهم

من أسوا الأشياء أن يصاب الإنسان بمرض لايجد الطب علاجا له.. ومع مرور الوقت تتدهور حالة المريض بينما الذين حوله من محبيه لايعرفون مادا يفعلون. ورغم آلاف الأدوية التى تملأ أرفف الصيدليات، والأبحاث والدراسات العديدة جدا وملايين الأطباء فى كل العالم، إلا أن هناك أمراضا يقف الطب أمامها عاجزا. وأهم هذه الأمراض وأكثرها شيوعا تلك المتعلقة بالأعصاب والمخ.. وهؤلاء بعد أن يدوخوا على الأطباء المتخصصين ويقدمون بدورة كاملة على عياداتهم بدون نتيجة يبداون جولة أخرى مع تجار الوهم وباعة الأمل الكاذب..

مازلت أذكر جيدا هذه الأيام التى عشتها عندما اكتشفت تعثر العلم أمام مرض زوجتى الأولى رحمها الله.. ورغم كل دراساتى وقراءاتى ومدرسة العلم التى أنتمى إليها، إلا أننى مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى مستسلما للتجول فى شارع العلاج بالأرواح والمغناطيس والأحجبة، والأطباق المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فنشر بها!

وفى هذا الطريق الطويل الذى سرت فيه اكتشفت أننى لست وحدى وأن هناك كثيرين جدا من كل جنسيات العالم سبقونى إلى السير فيه.

وشعار هذا الطريق هو ما الذى سوف تخسره؟ والا يجوز أن تجد فيه الشفاء؟

. كانت أول تجربة لنا فى القلعة فى أحد البيوت الفقيرة التى استقبلنا صاحبها بعد أن تركنا ننتظر أكثر من ساعة ثم بعد أن قام بفحص المريضة زوجتى استراحت ملامح وجهه فماذا تكون هذه الحالة أمام حالات أشد واقسى جلست مكانها وقد شفيت واصبحت تسابق جياد السباق فى الحركة والقفز!

كلام جميل وكلام مطمئن وكل ماعلينا أن نحضر له بعد ثلاثة أيام ٢١ طبقا نتركها له ثم نعود بعد يومين لناخذها بعد أن يكون قد نقشها بالرسوم الملونة وعلينا مساء كل يوم أن نخرج الطبق من النافذة ونتركه فى مكان يستقبل فيه قطرات الفجر ثم بعد ساعة من الفجر وقبل الشروق ناخذ الطبق بما عليه من ضباب ونقطر فيه بضع قطرات نمسح بها اللون الذى فى الطبق ثم تتناوله زوجتى.

٢١ يوما ونحن نصحوا مبكرين نلحق باطباق الفجر وتتجرع زوجتى الماء الملون وبالطبع بلا فائدة

وجاءنا عميد الأطباء الروحانيين، أو هكذا كان يسمى نفسه.. شخصية غريبة من أحد الأقطار العربية وكانت إعلاناته منتشرة فى المجلات. وبسبب عملى الصحفى فإنه قرر أن يكرمنى ويوفدنى إلى مندوبته فى القاهرة وهى سيدة اكتشفت أنها زوجة أستاذ شهير فى كلية الاقتصاد توفاه الله.. وذهبنا ورقدت زوجتى على ظهرها فى منتصف الحجرة وجلست أنا فى جانب

منها وأستاذنتنا صاحبة البيت السيدة الشابة أن تطفىء الأنوار لأن الروح لاتاتى إلا فى الظلام وكان شديد الحلكة وبدأت تقرأ وتقول كلاما بعضه مفهوم وبعضه غير مفهوم.. وسمعنا طرقا فقالت: تفضلى.. ولأن الحجرة التى جلسنا فيها كان لها باب واحد أجلس أنا خلفه فقد كان المقصود أن نعرف أن الروح لم تدخل من باب وإنما نفذت من أى جدار (!) ؟.

كان الظلام شديدا وكان صوت الدكتورة فاطمة رقيقا وهى تكرر للروح أن تتفضل بالدخول.. وفوجئت بأصابع تطرق على كتفى.. وكدت أتجمد من الخوف ولكننى تماسكت حتى لا أفزع زوجتى.. وسمعت صوت الدكتورة فاطمة وهى تقول: بعد إذنك مش دى المريضة ده جوزها.. والمريضة نايمة فى وسط الحجرة.. لو سمحتى تكشفى عليها وتقولى لنا العلاج..

وقالت لى زوجتى فيما بعد انها شعرت بيد تتلمسها وتمسك بجبينها.. وبعد دقيقتين أو أكثر قليلا.. انسحبت «الروح الزائرة»

ولم أتمن فى حياتى أن أقوم بمغامرة كما تمنيت فى هذه اللحظات.. فقد كنت على وشك أن أمد يدى إلى مفتاح النور واضىء الحجرة واكشف عملية النصب التى بدأت أشعر بها.. ولكننى تحملت، بل وأكثر من ذلك صدقت أن هناك روحا دخلت من الحائط وأخطات طريقها إلى المريضة ثم بعد أن تم تنبيهها استدركت خطأها..

وكانت وصفة أخرى من عدة خلطات من الأعشاب.. وتحملتها زوجتى بصبر وبهدوء.. واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإيحاء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة، فالمهم هو المريض.. ومن يدرى ربما كان الايحاء هو العلاج ؟.. هكذا قلت

لنفسي..ولهذا كان مهما رغم عدم إيماني بما يحدث أن أحاول الظهور في صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعي وإيماني إلى الطرف الآخر.

ومضت شهور أخرى قبل أن ننتقل إلى «طبيب آخر» من أطباء هذا السوق الطويل.. وفي شارع خلوصي بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليلة..

كان العلاج هذه المرة مختلفا.. فالمريضة تجلس ساعة بينما تقوم الدكتورة بقراءة آيات القرآن.. كلام الله فمن يكره..

و٤٠ جلسة .. صحيح أنها بدت بساعة وانتهت بخمس دقائق ولكننا كنا حريصين عليها..

ولم أحسب يوماً مادفعناه.. فقد كان الهدف أغلى كثيرا من أى مال.. ولكننا دفعنا بلا مقابل.. بل على العكس لم يترقف الخط البياني عن التدهور..

ولأن مصر لاتكفي فقد ذهبنا إلى الفلبين.. وكانت سمعة طبيبها فيليبي قد ذاعت وانتشرت.. واستطعنا عن طريق مدير مكتب شركة مصر للطيران في مانيلا ــ رحمه الله ــ أن نحصل على موعد لزيارة فيليبي.. واكتشفنا أن له ٣ عيادات أشهرها غرفة في أحد الفنادق.. وكانت مفاجأة أن نجد هذا الجمع الغفير من كل أنحاء العالم الذين كانوا في الانتظار.. ناس من كل أنحاء العالم.. من أمريكا ومن السويد ومن استراليا ومن فرنسا.. ناس على «كراسي» بعجل، وناس لايتحركون وقد حملهم أهلوهم.. كلهم جاءوا بحثا عن الأمل عند فيليبي..

ودخلنا على فيليبي.. وكنت انتظر أن أقابل رجلا عجوزا كبيرا ولكنني وجدته شابا صغيرا.. وبدون أن يضيع وقته طلب إلى زوجتي أن تنام ليجري لها عملية!

وقال لى مدير مكتب مصر للطيران الذى صحبنى وهو يبشرنى: ابسط ياعم..

عملية.. وقلت نخرج إذن ولكنه أشار إلينا بالجلوس.. وانتظرت أن يدخل مساعد أو طبيب بنج..

ولكنه بسرعة بالغة آخذ يضغط على جبينها ثم بحركة ساحرة بالغة الغرابة وجدته يشد قطعة من اللحم وكأنه يستخرجها من فتحة فتحها فى جبين زوجتى.. وقال لى بلغته ولكننى فهمت المقصود: شايف..

ونظرت فوجدت قطعا من الأمعاء السوداء اللون.. وقال لى بالأنجليزية: مسكينة.. فيها كل هذا وتتحمله.. ولكن بعد اليوم لن تتالم..

وكدت أجرى ناحيته: إيدك أبوسها.. ولكننى تراجعت وتماسكت.. ورفض فيليبى أن يتقاضى أجرا ولكن بعد الضغط عليه قبل ١٥٠ دولارا فقط..

هكذا.. عملية بدون بنج وبدون مشرط وبدون فتح وبدون ألم وعينى عينك أمامنا..

وسألتنى زوجتى: هل هناك جرح مفتوح مكان ماستخرج قطع اللحم السوداء.. ونظرت.. ووجدت بقعة صغيرة حمراء.. وقد اختفت بعد يومين.. لكن الآلام لم تختف.. وكما فى بعض قرارات النيابة ظل الحال على ماهو عليه إن لم يكن أسوأ قليلا..

وعدنا من الفلبين إلى الشارع الطويل.. شارع أطباء الوهم وتجار الأمل الكاذب..

ورغم ماتعلمناه فإننا لم نتوقف عن مواصلة السير فى الطريق ومن واحد إلى آخر.. ولو امتد العمر بزوجتى لما توقفنا..

وعندما أسمع عن زبائن هؤلاء الباعة أعذرهم فقد مررت بالتجربة مثلهم وعانيت مايعانونه.. ورغم أننا كنا نعرف أنه لافائدة فقد كنا على استعداد أن نصدق..

بصرف النظر عن التعليم وعن الثقافة والايمان بالعلم فإن الإنسان لايتخلى عن العجز بالأمل.. ويكون على استعداد للهبوط من قمة العلم الذى وصل إليه لتناول جرعة الأمل من يد جاهل ومدع ولهذا ستظل سوق الأوهام عامرة بالزبائن ومليئة أيضا بالنصابين والمحتالين الذين تتركز قدراتهم فى طريقة بيع هذه الأوهام وترويجها.

وحدة تتمزق!

من يراجع تاريخ جمال عبد الناصر يجد أن هذه الحياة كانت مليئة بالمعارك المستمرة التى خاضها عبد الناصر داخليا وعربيا وعالميا.. وقد عرف عبد الناصر كثيرا من الانتصارات لدرجة يمكن القول أنه تعود عليها.. ولهذا كان شعوره بالهزيمة مريرا وثقيلا..

وقد هزم عبد الناصر فى سنوات حكمه مرتين: مرة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ عندما اعلنت مجموعة من الضباط السوريين انفصالهم عن الوحدة التى قامت بين مصر وسوريا فى فبراير ٥٨، ومرة فى ٥ يونيو ٦٧.

وفى أوراقى انقل عن مذكرات كتبتها نص ماكتبته فى يوم الخميس ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وقد كتبتها تحت عنوان «وحدة تتمزق». وانقل سطور ماكتبته على أساس أنها كانت تحمل مشاعر الحدث الساخن وقد سجلته بكل جوانبه فى تلك الليلة.

تقول المذكرات:

الساعة الآن تقترب من الثانية صباحا. ورغم إحساس بالغ بالتعب فإننى أحاول أن أكتب فى صورة كاملة بعض أحداث هذا اليوم.. اليوم الذى

يخيل لى أنه كتبت فيه شهادة وفاة الجمهورية العربية المتحدة.. وقد كان يوماً رهيبا بدأته مصر بصوت عبد الناصر يعلن فى التاسعة صباحا أن حركة جرت قام بها بعض المتمردين فى الجيش السورى، وأنها تحركت من مركز قيادتها فى قطنة إلى دمشق وحاصرت الاذاعة واستولت عليها وحاصرت قصر القيادة العامة. وقال عبد الناصر بعد حديث طويل عن الوحدة العربية وعن القومية العربية أنه لن يعلن حل الجمهورية العربية رغم ما يسببه ذلك من متاعب، وأن قوات من الجيش الأول السورى .. تزحف، الآن على دمشق للقضاء على المتمردين. ومضت عدة ساعات.

١ ـ خلالها كانت بيانات المتمردين من راديو دمشق تذاع بصفة مستمرة معلنة هجومها على القرارات الاشتراكية الثورية التى سبق أن أصدرها جمال عبد الناصر.

٢ ـ فى الثانية بعد الظهر تقريبا صدر بيان رقم ٩ جاء به أن «القيادة العربية الثورية» ـ هكذا أطلقت الجهة المصدرة للبيان على نفسها ـ عرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة الذى تفهم أمور الجيش على حقيقتها واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها لصالح وحدة وقوة القرات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة..

وقد أذاعت اذاعة دمشق هذا البيان كما أذاعته أيضا اذاعة القاهرة مما أعطى انطباعا بأن التمرد قد انتهى فى سوريا.

٣ ـ عرض ارنست يونس (مدير الاعلانات بالإهرام وقتها) على الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس التحرير فكرة أن يقوم قسم الاعلانات

بجمع إعلانات تأييد لعبد الناصر من الشركات والمؤسسات والأفراد، ولكن هيكل رفض الاقتراح وقال ليونس إنه سوف يتصل بالدكتور عبد القادر حاتم (وزير الإعلام وقتها) ليصدر تعليماته إلى الصحف لمنع مثل هذه الاعلانات، وعقب اذاعة البيان رقم ٩ من راديو دمشق ظهر ارنست يونس بوجه متهلل وهو يعتقد أن كل شيء قد عاد إلى ماكان ولكن ماذكره الأستاذ هيكل كان يعكس ان هذا البيان مجرد مناورة. تخفى وراءها شيئا خطيرا.

٤ ـ فى الساعة الخامسة والنصف مساء اذاع راديو دمشق أن المشير عبد الحكيم عامر غادر سوريا فى الخامسة والثلث فى طريقه إلى القاهرة «بعد أن نكث العهود التى كان قد قطعها على نفسه عندما ذهبوا إليه وعرضوا عليه الموقف فى الجيش. وبناء على ذلك قد سمح له بالعودة إلى القاهرة».

وقبل ذلك كان الوزراء السوريون الموجودون فى «دمشق ـ عدا عبد الحميد السراج ـ قد أمكن «شحنهم» فى طائرة إلى القاهرة وهم الضباط: أكرم ديرى وطعمه العودة الله رجاء وعز الدين وأحمد الحنيدى. وقد حاول اكرم ديرى التفاهم مع أحد الضباط ولكن الضابط شتمه فما كان من أكرم الا أن ضربه بالقدم. وفى سرعة فتح الضابط مدفعه الرشاش فمرت رصاصتان على ساقه وجرحته.

وقد سمعت هذه القصة من ممدوح طه (رئيس قسم الأخبار بالأهرام فى ذلك الوقت) ونشرنا عنها فى الأهرام

٥ ـ فى السادسة مساء تحدث جمال عبد الناصر مرة ثانية والقى خطابا طلب فيه من كل مواطن ان يؤدى واجبه وما يمليه عليه ضميره. وقال

إن هؤلاء المتمردين عليهم أن يتحملوا مسئولية التمرد الذى تورطوا فيه والذى أثر فى أمن هذه الجمهورية وفى مستقبلها. وعقب ذلك وقع عبد الناصر قرارا بعزل الضباط المتمردين من مناصبهم وتجريدهم من رتبهم العسكرية وهم: العميد عبد الغنى دهمان ـ العميد موفق عصاصه ـ المقدم عبد الكريم النحلاوى ـ المقدم حيدر الكزبرى ـ المقدم نسيب هندى ـ المقدم هشام عبد ربه.

وحتى السادسة مساء كان الموقف يبدو منه أن دمشق وحدها التى أصبحت تحت رحمة المتمردين وأن حلب واللاذقية كلها معنا وأن المظاهرات تخرج فى الشوارع هناك معلنة تأييدها لنا.

٦ ـ مع الليل انضمت حلب إلى دمشق، ثم انضمت اللاذقية إلى الأثنين، وكان الواضح نجاح حركة التمرد بدليل أن قوات الجيش الأول السورى التى قال عبد الناصر أنها فى طريقها إلى دمشق للقضاء على التمرد لم يرد ذكرها.

٧ ـ عرفت بعد ذلك أننا أرسلنا بناء على طلب قائد اللاذقية ـ فرقة مظلات (٢٠٠٠ جندى مصرى وسورى) بقيادة جلال هريدى قائد الصاعقة وقد نزل ١٢٠ جنديا فى نفس الوقت الذى كانت اللاذقية قد أعلنت فيه انضمامها إلى المتمردين ولهذا صدرت الأوامر إلى باقى القوات المظلية التى كانت تستعد للهبوط بالعودة إلى قواعدها وكانت هناك أيضا قطع من الأسطول صدرت إليها الأوامر بالتحرك إلى اللاذقية، وعند قبرص تقريبا صدرت إليها الأوامر بالعودة، وعلى حسب ما قيل فإن جلال هريدى الذى هبط فى اللادقية ليلا سلم نفسه هو وجنوده إلى كاظم زيتون قائد المنطقة.

٨ ـ بعد منتصف الليل اذاع راديو دمشق بيانا قاسيا هاجم فيه بشدة جمال عبد الناصر. وكان من بين ما جاء في هذا البيان: أن الجيش السورى اراد من حركته أن يعيد للشعب في سوريا حقه في الكلام والاجتماع حقه في التعبير عن ارادته غير خائف ارهابا أو سجنا. لقد أراد أن يعيد للشعب حريته بعد أن خنقتموها برجال مباحثكم ومخابراتكم، أراد أن يتحلص من الحق الألهي الذى منحته ياسيادة الرئيس لنفسك. لقد كممت الافواه وكبت الحريات وزورت الانتخابات والفت مجلسا نيابيا صوريا لتبرير قراراتك التعسفية. اردت بالمواطنين العرب في سوريا شرا فارادوا بك شرا. لم تكتف ياسيادة الرئيس بالاحكام العرفية تعلنها بل جعلت المواطن غير أمن على ماله وعرضه وقوت يومه لقد جعلت المواطنين يعيشون في ظل الارهاب والسجون والضرب والتعذيب والموت في سردايب زنزاناتك وسجونك حتى أصبح هذا الوطن الحبيب سجنا كبيرا ومعتقلا للظلم وللأرهاب وامتهانا للكرامات. ولم تكتف بهذا بل سلطت مباحثك وجواسيسك على المواطنين فهدمت المجتمع وحرضت الأخ على الايقاع بأخيه، وخصصت لهذا كله مبالغ جسيمة تقتطع من دم الشعب لتنفق على ازلاله ومحو معالمه، لقد تنكرت للدستور الذى وضعته فاحتكرت استصدار القوانين غير ملتفت إلى ارادة الأمة فأرهبتها بتشاريع جائرة لم تقصد منها سوى الانتقام من اناس عرفوا بجهادهم ووطنيتهم لقد ادعيت لنفسك نظاما اشتراكيا لاغربيا ولا شرقيا واذا به حرفيا مما يطبق في بلد جعلت لرئيسه حق الوصاية عليه وعلى الشعب العربى في مصر وسوريا. نحن نريدها اشتراكية عربية، اشتراكية في الخير وفي السعادة وفي الرأى. نحن لاننكر على الأمة العربية كفاحها ولكن ننكر عليك هذا الدور التمثيلى الذى تقوم به حينما تزعم

لنفسك حق قيادة الأمة العربية. نحن ننكر عليك هذا الدور الذى لم يجلب للأمة العربية سوى الفرقة والخراب..

انتهى البيان القاسى الذى تضمن عبارات لا أذكر أن احدا سبق ووجهها إلى عبد الناصر. وهناك بعض اسئلة لابد وأن تثار أولها هل قام بهذه الحركة عدد قليل من الضابط. وماهو دور عبد الحميد السراج فيها، وماهو تفكير عبد الناصر تجاهها وهل ستفشل هذه الحركة؟ وبالنسبة للسؤال الأول - وكل ما أكتبه أحاسيس شخصية فاعتقادى أن هذه الحركة مثل ما سبق من حركات عسكرية فى سوريا، حركة مولتها رؤوس أموال استعمارية ورأسمالية وعربية أيضا. ومن الجايز أن تكون قد بدأت صغيرة ولكن ميول الجيش المستمرة نحو التغيير ساعدت على انتشارها.

وبالنسبة لموقف عبد الحميد السراج فليس هناك دليل واحد على اشتراكه فيها بل هناك من يقول أنه ضدها وأنه قد يقوم بتدبير حركة مضادة للقضاء عليها وأن كان من المحتمل أن الذين قاموا بالحركة الأخيرة قد استغلوا الفرصة التى واتتهم بعد استقالة عبد الحميد السراج قبل يومين.

وبالنسبة لعبد الناصر فأننى أرى أنه لم يكن يتصور ابدا نجاح الحركة. وأغلب الظن أنه بنى سياسته على أساس أن كلمته التى اذاعها من القاهرة صباح اليوم سوف تحرك الجماهير السورية التى شهدها من خلال زياراته لسوريا وأن الحركة أمام هذه الجماهير وثورتها لابد وأن تتراجع وعلى هذا الأساس مضى عبد الناصر يدير المعركة ويصدر الأوامر لا حل وسط ولا مساومة. ثم اذا بالذى كان يظنه مستحيلا قد أصبح حقيقة.

ثم يبقى السؤال الأخير: هل ستنجح هذه الحركة؟ وأقول لا أعرف. ومن الجائز أن تفشل ولا تنجح. ولكن حتى لوحدث ذلك فلا أظن أن الوحدة

يمكن أن تعود .. إن الوحدة تعرضت لشرخ كبير مثل ما يتعرض له لوح زجاج، ومهما تم لصقه فأبدا لايمكن أن يعود إلى أصله. ربما فشلت هذه الحركة وكل شئ جائز فى سوريا ولكن اذا حدث ذلك فسوف تعقبه حركة أخرى وهكذا .. ماهو المستقبل. غدا إذا عشنا نعرفه.

هذا نص ماكتبته فى مذكراتى عن يوم الخميس ٢٨ سبتمبر ١٩٦١.

حكايات من لندن!

منذ زرت لندن لأول مرة فى عام ٦٧. وكنت قد ذهبت إليها للتدريب فى صحيفتى التايمز والاوبزرفر لا اذكر انه مرت سنة دون أن أزورها مرة واثنتين وأحيانا ثلاث مرات. فمن بين عديد العواصم التى زرتها كانت هناك مجموعة من المدن التى احتلت موقعا خاصا فى نفسى. واشهر هذه المدن لندن والقدس وباريس وبالو التو وهذه الأخيرة مدينة صغيرة جدا فى ولاية كاليفورنيا الأمريكية وتقع فى منتصف المسافة بين المنتجع حيث الهدوء والراحة وبين المدن التى تتوافر فيها كل الاحتياجات واللوازم.

اذكر أننى فى اليوم الثانى لوصولى لندن لأول مرة وكنت استأجرت غرفة فى شقة فى شارع اكسفورد أن استيقظت على صوت المطر الشديد. وكان عندى موعد فى ذلك اليوم فى جريدة اوبزرفر للتعرف على الذين سوف أعمل معهم فى فترة التدريب.. ولكننى عندما رأيت المطر من خلف النافذة عدت بسرعة إلى السرير واستسلمت للنوم فى الدفء.. ودق جرس التليفون بعد حوالى ساعة، وكان المتحدث هو المسئول فى صحيفة الأوبزرفر يسأل عن سبب تأخرى فى الوصول وقد خاف بسبب معرفته أنها أول مرة

أجئ فيها لندن أن يكون قد حدث لي شئ. وقلت له إن الجو يمطر والمطر شديد.

وقال بدهشة: وإيه يعني؟

قلت: المرور لابد أن يكون واقفا..!

وكاد الرجل يقفز من التليفون من شدة الغيظ وصرخ بصوت عال: قم والبس وتعال فورا..

وسمعت الكلام ونزلت.. واكتشفت أن الحياة الطبيعية تسير بلا أى توقف رغم شدة المطر وهوما لم أكن قد تعودته فى بلادى.. فإذا سقط المطر وقف المرور وتعطلت حركة الناس واسرع كل واحد إلى بيته هربا..

واكتشفت ان السر ليس فى عاداتنا فى بلادنا وإنما فى تخلف شوارعنا عن استقبال المطر.. هناك فى لندن وفى غيرها من شوارع مدن الغرب يسقط المطر مهما سقط ولكن هندسة الشوارع مصممة بما يجعل المياه تجرى ناحية البالوعات وبحيث إذا توقف المطر بدت المدينة بعد عشر دقائق وكأن شيئاً لم يكن لا مستنقعات ولا برك ولا عربات ترش المياه على السائرين ولا هرج ولا مرج فالكل يحمل شمسية ويسير بثقة وهدوء والمياه تجرى سريعة لا تترك اثارها..

لندن كما عرفتها هى المكتبات الكبيرة والمسارح ودور السينما والحدائق الواسعة ومحلات تسوق الشوبنج الشهيرة والمواصلات السهلة وسباقات الكلاب التى عشقت الفرجة عليها فى أول مرة زرتها فيها، والقصر الملكى وتغيير الحرس وميدان بيكادللى ومئات المطاعم التى تجوب فيها كل العالم من خلال ما تقدمه من اطباق.

وفى عام ٦٧ لم يكن العرب قد عرفوا طريقهم إليها كثيراً، ولكن منذ قفزة البترول وزيارات العرب إلى أوربا كانت لندن من اوائل المدن التى جذبت العرب واصبح لهم فنادق كثيرة اشتهرت بإقامتهم فيها كما بدأت لندن تتغير وتغير من عاداتها وطباعها ومطاعمها بسبب العرب حتى أصبحت هناك شوارع خاصة تسير فيها فلا تسمع إلا اللغة العربية ولا تجد معروضا فى مكتباتها الا الصحف العربية والكتب العربية.. وقيل فى وقت من الأوقات إنه من كثرة العرب وانتشار اللغة العربية أن ظهرت لافتات على بعض المحلات تقول.. هنا نتحدث الإنجليزية.

من مزايا المدن العريقة التى تحمل عبق التاريخ مثل لندن وباريس وجنيف ...ما انه مهما مر من سنوات وابتعدت عنها فإنك تعود إليها دون أن تلحظ أى تغيير.. فمنذ ١٩٦٧ .. أول مرة زرت فيها لندن.. لم يتغير شئ مهم فى ملامح العاصمة الإنجليزية. لا شكل الأتوبيس ولا ارقام خطوطه ولا معالم شوارعها وميادينها المعروفة وحدائقها المتعددة، وتاكسياتها العالية.. وبالمناسبة فإن هذا الأرتفاع فى هذه التاكسيات كان سببه إتاحة الفرصة للإنجليز الذين يرتدون القبعات العالية بدخول التاكسى والجلوس دون أن يضطرو إلى خلع قبعاتهم.. ورغم أن كثيرين لم يعودوا يرتدون هذه القبعات العالية وإذا ارتدوها فإنهم يستقلون سيارتهم الخاصة إلا أن سيارة التاكسى الانجليزية ظلت على مواصفاتها التى بدأت بها منذ سنوات طويلة ودون أن تغير شعارها الموجود فى مقدمة سقف السيارة والذى على شكل كاب وهو الاسم الذى أخذته هذه السيارات بالإضافة إلى ما تتميز به من قدرة على الدوران بزاوية ١٨٠ درجة فى شارع صغير وهى ميزة مازالت سيارات التاكسى الإنجليزية تنفرد بها دون أن تضعها الشركة المصنعة لهذه السيارات فى أى سيارة أخرى خاصة.. وحدها سيارات التاكسى الإنجليزية احتكرت

هذه المواصفات وقد حافظت الشركة على عدم نشر هذه المواصفات خارج الـ ٢٢ ألف سيارة تاكسي التي تجوب شوارع لندن.

لندن ١٩٦٧ إذن هي لندن ١٩٧٧، ولندن ١٩٨٧ وأخيراً لندن ١٩٩٥ و٩٩ حتى ما تم تجديده خلال تلك السنوات جرت المحافظة على شكله الخارجي المميز الذى اشتهر به وتم تجديد ماوراء هذا الشكل على اعتبار أن هذا الشكل الخارجي أصبح سمة من سمات المدينة وشخصيتها التي تتوارثها الأجيال دون تغيير.. ولهذا بقيت هذه المدن محافظة على جمالها المعماري وتناسق مبانيها. فلا عمارة عالية بجوار أخرى قصيرة ولا مبنى لونه أبيض وبجانبه مبنى بلون آخر.. ولا إعلانات تشوه جدار حائط واحد، ولا بلكونة فيها كراكيب البيت تطل منها وتؤذى عين الناظر إليها.. كل هذه جرائم لا ترتكبها المدن الكبرى ولا تسمح بارتكابها بحجة حرية المالك في التصرف كما يريد في شئون ملكه فهناك أهم من هذه الحرية وهو حق المواطن العادى في التمتع بالجمال..

أذكر أنه منذ نحو عشر سنوات كانت من بين القضايا التي شغلت اهتمام رجل الشارع الفرنسي في العاصمة الفرنسية باريس قضية مقهى الفوكيت وهو مقهى من النادر أن يمر زائر بباريس وبشارع الشانزلزية دون أن يجذبه المقهى الذى منه مقهى ومنه مطعم وله طوابق متعددة لكل طابق ذوق مختلف.

ولما كان المقهى يقع على ناصية أحد الشوارع الهامة وفي الشانزلزيه فإن صاحبه أراد استغلال الموقع وقام بتسريح عماله استعدادا لإقامة مجمع تجارى صحم مكان المقهى بعد هدمه. وهاج السكان المجاورون الذين تعودوا على المقهى الذى تبين أن له أكثر من ١٠٠ سنة وأصبح علامة من علامات الشارع مثل الليدو وقوس النصر والكونكورد.. وأقام السكان دعوى

ضد صاحب المقهى يطلبون وقف هدمه لطوبة واحدة في المقهى.. وشارك السكان في دعواهم وزير ثقافة فرنسا الذى اعتبر المقهى معلما من معالم باريس.. واستجابت المحكمة لطلب السكان ووزير الثقافة الفرنسى وقررت وضع المقهى على قائمة الآثار التاريخية التى لا يجوز تغييرها بالهدم أو التعديل..

أما فى مصر فإن الفيلا التى عاشت فيها أم كلثوم والتى كانت نجمة الطرب لكل العرب فقد انهارت أمام أول فاس رفعه صاحب الفيلا لهدمها وإقامة المجمع التجارى الذى أقامه.. وأختفت فيلا أم كلثوم التى كان يمكن بل وكان يجب أن تصبح متحفا دائما واثرا من آثار التاريخ الذى تتوارثه الأجيال..

عدت أخيراً إلى لندن بعد غياب عامين وقد كان غريبا أن أجد فيها هذه المرة الجديد الذى لم يكن موجودا من قبل والذى لم اتعود أن أراه طوال الـ ٣٠ سنة الماضية.

كانت أول ملاحظة لاحظتها أن لندن يوم الأحد ليست لندن التى تعودت عليها من قبل فمحلات شارع اكسفورد ومعظم الشوارع التجارية الرئيسية أصبحت مفتوحة يوم الأحد. من قبل كانت بعض المحال الصغيرة هى التى تفتح أيام الأحد أما اليوم فإن المتاجر الكبيرة مثل ماركس اندسبنسر وليتل وورث وبوتس وجون لويس وغيرها وغيرها باستثناء سلفردج. .فكلها مفتوحة من الساعة ١٢ ظهرا إلى السادسة مساء.. وهكذا فإن شارع آكسفورد الذى كان يسوده الهدوء أيام الآحاد وكانت التمشية فيه للفرجة على الفترينات تعتبر فسحة خاصة، فإنه أصبح يموج بالحياة والحركة والبيع والشراء ونفس النصابين الذين يأخذون مقاعدهم على بعض النواصى

لاصطياد أى غشيم يبيعونه سلاسل من النحاس على أنها ذهب، أو زجاجات مغلقة مليئة بالمياه على أساس

أنها أشهر العطور!

كان الجديد في لندن أن محلات ماركس اندسبنسر قد ألغت من تعاملاتها رقم الـ ٩٩ بنسا الذى اشتهرت به فى تسعير كل معروضاتها. وقد حافظت ماركس على هذا التقليد منذ أول سنة زرت فيها لندن عام ١٩٦٧ وبالطبع كانت لها سنوات سابقة فى هذا النظام ولكنها أخيراً شطبت رقم الـ ٩٩ وألغت البنس الشهير الذى كانت البائعة تعطيه للمشترى..

الجديد فى لندن أيضاً وهذه معلومة تهم هواة التسوق والشراء إن إجراءات ختم بطاقة النفات (ضريبة المبيعات) فى مطار لندن أصبحت تسبق ذهاب الراكب لوزن حقائبه في شركة الطيران فهناك مكتب خاص فى الصالة الداخلية للمطار يمر عليها المسافر ومعه حقائبه وبحيث إذا اراد الموظف المسئول روية المشتريات استطاع الراكب أن يفتح له الحقيبة ويريه ما يريد. وهذا الإجراء يسهل الكثير مع الراكب ويمنع المشاكل التى كانت تواجه الراكب الذى كان يسلم حقائبه إلى شركة الطيران ويذهب الى مكتب تلك الضرائب فيسأله الموظف أن يريه ما اشتراه.

أيضاً تم إدخال نظام جديد يسمح للراكب باسترداد مستحقاته من ضريبة المبيعات من شباك خاص موجود فى المطار بعد إنهاء الراكب إجراءات الجوازات والذى قام بهذه الخدمة شركة قطاع خاص تتقاضى نسبة عمولة من صاحب ضريبة المبيعات لقيامها بهذه المهمة ولكن يشترط

أن يطلب عند تعبئته اوراق البيانات الخاصة بهذه الضريبة من المحل الذى اشترى منه مشترياته أن يطلب من المحل تسلم مستحقاته نقدا فى المطار.

الجديد فى لندن ايضا انتشار ظاهرة وضع المواطنين ايديهم اليسرى على الأذن اليسرى وكأن صاحب اليد يحاول حماية أذنه من البرد بينما الصحيح أنه يمسك بتليفون لاسلكى متنقل فى حجم علبة السجائر يتحدث فيه وهو يسير فى الشارع او فى داخل أى محل أو اتوبيس أو سيارة. حتى الأولاد الصغار اصبحوا يستخدمون هذه التليفونات وبكثرة.

ولكن الجديد والسيئ فى لندن هذه الظاهرة الكاسحة التى تراها فى أكشاك التليفونات العامة فى شوارع لندن، فلا يخلو أى كشك من عشرات البطاقات الملونة والمثبتة داخل الكشك تعلن عن فتيات الدعارة وارقام تليفوناتهن وهذه الظاهرة بدأت منذ عدة سنوات ولكن الجديد فيها أن بنات تايلاند اللائى وفدن إلى لندن بكثرة ابتكرن طريقة نشر صورهن عارية فى هذه البطاقات وفى أوضاع غريبة.. ولأن السوق فيه جنسيات أخرى عديدة فقد بدأت المنافسة شديدة بين هذه الجنسيات فى استعراض الصور العارية لسلعة المعلن عنها وأصبحت المكالمة التليفونية من كشك عام كارثة نفسية لمن يدخل الكشك ويجرى المكالمة.

وقبل بضعة اسابيع خرجت صحيفة نيوز اوفزى وورلد الأسبوعية والمشهورة لنشر الفضائح الشخصية بخبر اتهمت فيه أحد القضاة (اسمة انتونى ثورنتوز) بأنه أخل بمتطلبات وظيفته القضائية وأنه يتعاطى المخدرات ويذهب إلى بنات الهوى الساقطات لممارسة الجنس معهن وطلب رئيس المحكمة العليا ملف القاضى واستدعاه وسأله عن الاتهامات الموجهة إليه فأنكرها وقال إنه لا يعرف شيئا عنها وإنه يحافظ على مسلكه ولا علاقه له بالمخدرات او الساقطات.

واعلن رئيس المحكمة ثقته فى القاضى وعقد مؤتمرا صحفيا قال فيه إنه يصدق ما ذكره له القاضى لأن من ضرورات القاضى الصدق ولابد أن انتونى ثورنتون قد قال الصدق ولم يكذب عليه.

ولكن صحيفة نيوز اف زى وورلد صدرت فى اليوم التالى تؤكد نها ستنشر فى عددها القادم ما يؤكد أن هذا القاضى كذاب وأنها لم تتهمه عفوا.. وبالفعل صدر العدد التالى من نيوز اوف ذى وورلد (عدد ٢٤ سبتمبر) وفى صفحتين داخليتين صور القاضى وهو يمارس الحب مع واحدة من بنات الهوى. .صور مأخوذة من فيلم فيديو لا يستطيع القاضى أن ينكرها .

وكانت مشكلة.. فلم تعد جريمة القاضى أنه مارس ما فعله ولكن أنه كذب على رئيس المحكمة العليا وانكر اية علاقة له بهذه التصرفات.. وقبل أن يتصرف رئيس المحكمة قدم القاضى استقالته وانهى مشكلته..

وحكاية أخرى فى قرية، فوجئ الذين ذهبوا لأداء صلاة الأحد فى كنيستها بالقسيس يتحدث إليهم حديثا مختلفا عما تعودوا أن يسمعوه منه كل احد عن تعاليم المسيح وإنما راح يحكى حكاية وكما لو كانت فيلما سينمائيا عن أمرة شابة وصلت إلى مكان واقامت علاقات جنسية مع عديد من شباب هذا المكان الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨، ٢٨ عاما وقد كانت تتعمد هذه العلاقات بقصد ان تنقل إلى هذا الشباب مرض الايدز الذى أصيبت به فهى أرادت الانتقام من الرجال وفى خلال ٦ شهور كانت لها علاقات مع نحو ٨٠ شابا.

واضاف القسيس بعد أن جذب اهتمام المصلين هذا المكان الذى ذهبت إليه المرأة هو قريتكم والذين خالطتهم ويحتمل أن تكون قد نقلت إليهم الإيدز هم شبابكم !

وانفجرت القنبلة فى قرية دونجافن بمقاطعة ووترفورد فى ايرلندا وانفجرت قنبلة خرى فى إنجلترا وفى كل الأوساط الدينية والإجتماعية.. فالمرأة التى نقلت الأيدز إلى شباب القرية الأيرلنيدية جاءت به أصلا من انجلترا والقصة عرفها القسيس من خلال الاعترافات التى يستمع إليها ويثق اصحابها فى ذكرها له وبهذا كان السؤال الذى أفزع الأوساط الدينية هو هل يجوز أن يفصح رجل الكنيسة عن الأعترافات التى يسمعها من أصحابها.؟

واختلف الناس حول السؤال، فمنهم من قال لا يجوز ومنهم من أعلن أنها المصلحة العامة والخطر الذى يهدد القرية والدين لابد أن يحقق مصلحة الناس ويرعى حقوق الأغلبية ومصالح الناس أن يعرفوا الخطر الذى يتعرضون له... وقد كانت المفاجأة عندما اندفع شباب القرية لإجراء التحاليل وثبت إصابة خمسة بالفعل بالمرض القاتل!

ورغم ذلك فقد أصاب الكنيسة الإنجليزية قلق بالغ من هذا الوضع الذى وصل فيه الأمر إلى حد الافصاح عن اعترافات الناس.، وقالت الكنيسة إنه المبدأ، فرجل الدين لا يجب أن يذكر كلمة واحدة من أى اعتراف يسمعه.. والناس لا يدلون بهذه الاعترافات إلا إذا احسوا بأن رجل الدين الذى يعترفون أمامه لن يكشف أسرارهم.. ومازالت الكنيسة غاضبة ومازال أهل القرية فزعين!

كيف دخل البترول العربى الحرب؟

حتى السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ كانت كل الأنظار متجهة إلى الحرب الدائرة على الجبهتين المصرية والسورية مع إسرائيل ولكن اعتبارا من يوم ١٦ أكتوبر استدارت أنظار العالم إلى الكويت التى وصل إليها وزراء البترول العرب.. وكان السؤال ماذا هم فاعلون؟ إن البترول العربى رغم أهميته لاقتصاد العالم إلا أنه ظل بعيدا عن عن حروب الأمة العربية ومعاركها لدرجة تصور معها الغرب استحالة أن يستخدمه العرب فى أية حرب يخوضونها.. كان التصور أن مصر قد أصبحت جثة هامدة لن تستطيع أن تخوض حربا، وأن البترول بدوره سيكون هو الآخر جثة أخرى.

ولكن .. كما فاجأ الجيش المصرى إسرائيل والعالم بوثبة العبور العظيمة التى فعلها فى ٦ أكتوبر، كذلك فاجأ البترول العربى العالم بحضوره مقتحمة الحرب ووقوفه إلى جانب الدم المصرى والسورى.

وكان من حظى أننى تخصصت فى ذلك الوقت فى شئون البترول وقد بدأت هذا التخصص فى أعقاب هزيمة ٦٧ بعد أن تأثرت نفسيا بالهزيمة ووجدت فى مجالات البترول الذى كان صوته قد بدأ يسمع فى مصر بعد

كيف دخل البترول العربى الحرب؟

حتى السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ كانت كل الأنظار متجهة إلى الحرب الدائرة على الجبهتين المصرية والسورية مع إسرائيل ولكن اعتبارا من يوم ١٦ أكتوبر استدارت أنظار العالم إلى الكويت التى وصل إليها وزراء البترول العرب.. وكان السؤال ماذا هم فاعلون؟ إن البترول العربى رغم أهميته لاقتصاد العالم إلا أنه ظل بعيدا عن عن حروب الأمة العربية ومعاركها لدرجة تصور معها الغرب استحالة أن يستخدمه العرب فى أية حرب يخوضونها.. كان التصور أن مصر قد أصبحت جثة هامدة لن تستطيع أن تخوض حربا، وأن البترول بدوره سيكون هو الآخر جثة أخرى.

ولكن .. كما فاجأ الجندى المصرى إسرائيل والعالم بوثبة العبور العظيمة التى فعلها فى ٦ أكتوبر، كذلك فاجأ البترول العربى العالم بخطوة اقتحامة الحرب ووقوفه إلى جانب الدم المصرى والسورى.

وكان من حظى أننى تخصصت فى ذلك الوقت فى شئون البترول وقد بدأت هذا التخصص فى أعقاب هزيمة ٦٧ بعد أن تأثرت نفسيا بالهزيمة ووجدت فى مجالات البترول الذى كان صوته قد بدأ يسمع فى مصر بابا

للأمل الذى كنا نفتقده فى ذلك الوقت.. وبإخلاص شديد سهرت الليالى لدراسة مادة اكتشفت أنها بلا حدود.. ففى البداية كان فكرى أن أدرس بترول مصر ولكننى اكتشفت أننى لا أستطيع فصل البترول المصرى عن دائرة البترول العربى فاتجهت إلى دراسة تاريخ البترول العربى واوضاعه وبالتالى أوضاع الدول العربية، ثم اكتشفت اننى لا استطيع الاكتفاء بالبترول العربى دون أن أمد دراستى إلى أوضاع البترول فى كل العالم وتتبع رائحة هذا البترول فيما يصدر من قرارات ما تتخذه الدول من سياسات.. وهكذا فإنه عندما جاءت الفرصة أمام البترول العربى ليدخل حربا لأول مرة كنت فى قمة استعدادى وقدرتى على الفهم وتحليل ما يحدث..

ورغم مرور السنوات فمازلت اذكر هذه الأيام بتفصيلاتها..

كانت البداية بالطبع يوم السادس من أكتوبر ٧٣، ففى هذا اليوم انتقل جنود مصر فى ساعات من شاطئ إلى شاطئ أخر كان الوصول إليه بالنسبة لإسرائيل والعالم كله يبدو عملا مستحيلا ومستبعدا من كل فكر أو خيال.

ومع أجواء النصر العظيم الذى لف العالم العربى بدأ البترول العربى يبحث عن دوره فى المعركة.

كانت هناك فى ذلك الوقت. وحتى اليوم . منظمتان بتروليتان: منظمة الأوبك (الأقطار المصدرة للبترول) ومنظمة الأوابك (الأقطار العربية المصدرة للبترول). فالفرق بين المنظمتين لفظا هو حرف الألف الذى يشير فى الكلمة الثانية إلى «العربية». ولكن إلى جانب ذلك كانت هناك فروق أخرى

فمنظمة أوبك كانت ولاتزال تضم الدول التى تعتمد فى دخلها على صادراتها من النفط الذى تنتجه، وقد بدأت فكرة هذه المنظمة حتى تستطيع

تلك الدول بتوحيد كلمتها أن تقف ضد الشركات الكبرى التى كانت تسيطر على إنتاج وتسويق البترول، وكانت بكلمة منها تحدد سعر شراء البترول، وبالتالى نصيب الدول المنتجة. ومنذ عام ٥٩ تاريخ إنشاء منظمة اوبك حتى ٧٣ نجحت دول المنظمة فى وقف اتجاه تخفيض الأسعار الذى كانت تقوم به الشركات وبدأت تطالب بزيادة السعر زيادة طفيفة لا تتجاوز الدولارين للبرميل الواحد ولكن بدون نجاح.

أما منظمة اوابك فقد كانت تضم الدول العربية فقط التى تنتج البترول حتى وإن كان هذا البترول لا يشكل المورد الأساسى لدخولها.. ولهذا فإننا نجد مصر وسوريا والبحرين اعضاء فى اوابك ولا نجدها أعضاء فى اوبك فلم تكن مصر فى ذلك الوقت قد حققت النجاح الذى حققته ووصلت إليه فى مجال البترول عندما راحت بعد ٧٧ تفتح المجال لعديد من الشركات للبحث عن البترول فى مختلف مناطقها..

وهكذا فإنه بعد السادس من اكتوبر ٧٣ اتجهت الأنظار إلى منظمة اوابك التى دعى وزراؤها لاجتماع فى الكويت حيث مقر المنظمة يوم الأربعاء ١٧ أكتوبر.

وبسبب ظروف الحرب ومنع الرحلات الجوية اضطر المهندس أحمد عز الدين هلال وزير البترول فى ذلك الوقت إلى استخدام طائرة عسكرية طارت به إلى جدة ومن هناك استقل الطائرة السعودية المدنية التى تعمل على خط جدة الكويت. وقد تصادف أن التقى المهندس أحمد هلال فى هذه الطائرة بالشيخ احمد زكى اليمانى وزير بترول السعودية فى ذلك الوقت، ومازلت اعتقد أن هذا اللقاء الذى تم بالمصادفة قد لعب دورا هاما فى دخول البترول

العربى إلى الحرب ذلك أن هذا اللقاء كان فرصة هادئة أمام الاثنين اللذين يمثلان وزنا خاصا فى الظروف التى تواجهها المنظمة (السعودية اكبر دولة منتجة للبترول ومصر الدولة التى تقود الحرب) كى يتشاوروا فى كل الاحتمالات.

فى هذا الاجتماع داخل الطائرة نقل أحمد هلال إلى زكى يمانى التوجيهات التى حددها له الرئيس أنور السادات وقد حددها فيما يلى.

١ - أن ما يشغل السادات ويضع له الأولوية هو تجميع العرب فقد كان السادات يعتقد أن الحرب ستستمر فترة طويلة وأن هذا يقتضى عدم الاندفاع فى قرارات عنيفة لا تستطيع الصمود طويلا بل يمكن أن تؤدى إلى انقسام التكتل العربى المطلوب.

٢ - إنه فى ضوء تلك الفكرة فإن مصر تحدد مطالبها فى ثلاثة أولها توجيه إنذار إلى أمريكا مع استمرار ضخ البترول وتحديد فترة لهذا الإنذار، ثم فى مرحلة ثانية بعد انتهاء الانذار يتم خفض ١٠ ٪ من أنتاج البترول العربى لمدة زمنية يتم الاتفاق عليها، ثم فى مرحلة ثالثة يتم خفض عشرة بالمئة اخرى من الإنتاج.

ولم تخرج وجهة النظر التى حملها معه الوزير السعودى زكى اليمانى عن افكار مصر فقد كانت تدور حول إنذار امريكا اولا قبل إجراء أى خفض وفى أثناء النقاش طرح المهندس أحمد هلال فكرة أن يطالب بعض الوزراء الآخرين بالتشدد واتخاذ إجراءات عنيفة ومنها إجراء تخفيض فورى بدون أى إنذار فما هو موقف السعودية.

واضاف أحمد هلال أنه ربما كان الأفضل الترتيب من الآن لمواجهة هذا الاحتمال وبالفعل فإن الاثنين انتهيا إلى ضرورة أن تبدأ الدول العربية

فى تخفيض إنتاجها فورا حتى يتنبه العالم إلى جدية العالم العربى.. ولما كان المطلوب هو التحذير وتنبيه العالم فقد اتفق الاثنان على أن يكون التخفيض فى حدود نسبة خمسة فى المائة تتكرر شهريا بحيث يبدو الأمر أمام العالم جديا. ولكن لآن التعليمات التى كان يحملها الوزير السعودى لم تكن تتضمن الموافقة على هذا الخفض فإنه اخبر الوزير المصرى بأنه سيبعث برسالة إلى الملك فيصل فور وصوله إلى الكويت يضمنها هذا الاقتراح ومزاياه تاركا لجلالة الملك الرأى.

●●●

وفى صباح الأربعاء ١٧ أكتوبر بدأ الاجتماع المنتظر وقد افتتحه الوزير الكويتى عبدالرحمن العتيقى رئيس الاجتماع بكلمة حيا فيها الحاضرين وطلب إلى المهندس أحمد هلال وزير بترول مصر الحديث أولا. وقال أحمد هلال إننى أحمل رسالة قصيرة من الرئيس السادات إلى معالى عبدالرحمن العتيقى الذى طلبت بلاده عقد هذا الاجتماع ونص هذه الرسالة هو أن أبلغ الأخ العتيقى شكر مصر للكويت على طلب عقد اجتماع وزراء بترول العرب وأننا حريصون على وحدة العرب راضون بما يسفر عنه الاجتماع.

وتحدث بعد ذلك وزير بترول ليبيا عز الدين المبروك فقال إنه جاء بثلاثة مطالب محددة هى تأميم مصالح الدول التى تقدم مساعداتها للعدوان الإسرائيلى ، والوقف الكامل لشحنات النفط إلى هذه الدول، وسحب رؤوس الأموال العربية المودعة فى الدول التى تساند إسرائيل.

وتحدث باقى الوزراء فعرض وزير بترول سوريا أن تبدأ الدول العربية بخفض إنتاجها خفضا فوريا بنسبة ٥٠ فى المائة. ورد الشيخ زكى اليمانى

قائلا: إن هذا معناه الا تستطيع دول البترول تقديم أى دعم مادى لدول المعركة، كما أنه بالنسبة لمطلب التأميم الذى عرضه وزير بترول ليبيا فإن تنفيذه غير مقدور عليه حاليا على الأقل بالنسبة للسعودية لافتقادها الجهاز الفنى القادر على إدارة عمليات شركة ارامكو إذا ما قامت السعودية بتأميمها.

وتحدث عبدالرحمن العتيقى وكان يجمع بين منصبى وزير النفط والمالية فركز على اقتراح سحب الأرصدة العربية من البنوك الأمريكية وتحويلها إلى بنوك اخرى فقال: إنه باتصالات مع البنوك الأوروبية بخصوص مثل هذه الحطوة فإن البنوك الأوروبية أوضحت عدم قدرتها على استيعاب أسواقها لتلك الأموال خصوصا وأن التحويل سيتم بالدولار.

وطالت المناقشة.. وتعددت الأفكار.. وخلال ذلك استدعى الشيخ أحمد زكى يمانى لمكالمة تليفونية مع جلالة الملك فيصل عاد بعدها إلى قاعة الاجتماعات ليكتب ورقة صغيرة ناولها إلى الوزير المصرى الذى فتحها وقرأ فيها: وافق جلالة الملك فيصل على اقتراحكم بخفض الإنتاج فورا بالنسبة التى اتفقنا عليها وهى نسبة الخمسة بالمائة.

وجاءت هذه الورقة فى موعدها فقد كان المجتمعون قد علقوا الأمر على ما تقدمه مصر باعتبارها الدولة المحاربة من اقتراحات وتحدث أحمد هلال فشرح صعوبة تنفيذ اقتراح التأميم للشركات وكذلك اقتراح سحب الأرصدة العربية وقال إن ما ينبغى بعد ذلك هو خفض الإنتاج وتحديد نسبته ووقف شحن البترول العربى إلى أمريكا وأنه مع إحساسه بأن هناك دولا تريد أن يتم التحفيض بنسبة كبيرة إلا أنه يرى أن يبدأ الخفض بنسبة صغيرة ولكن مع النص على أن تستمر هذه النسبة شهريا وبذلك يكون قد تم

تحقيق خطوة إيجابية مشتركة بخفض الإنتاج وفي الوقت نفسه استخدام هذا الخفض كإنذار يمكن أن يتزايد شهريا ويحقق أهداف العرب. ولتحقيق ذلك اقترح الوزير المصرى نسبة خمسة فى المائة كخفض فورى تلتزم به الدول كحد ادنى بحيث إذا أرادت أية دولة أخرى تخفيض أكثر من هذه النسبة فمن حقها أن تفعل ذلك ولكن مع الالتزام باستمرار الخفض شهريا بعد ذلك.

وتحدث الوزير العراقى فاعلن تحفظه على كل الاجتماع وانسحابه لعدم تمكنه من توقيع أى بيان يصدر عن الاجتماع.

وتحدث وزير بترول ليبيا فقال إنه يوافق على ما عرضه الوزير المصرى. وتحدث بلعيد عبدالسلام وزيربترول الجزائر فقال إنه يريد أن يوضح امام الحاضرين أن بلاده تعتمد فى تمويل خطتها للتنمية على القروض الخارجية، لكنها فى سبيل المعركة على استعداد للموافقة على أى قرار حتى لو استدعى الأمر وقف خطة التنمية الجزائرية.

ورفع الاجتماع على أن يعد الوزيران السعودى صيغة مشروع بيان يتضمن القرارات وقد أقره الوزراء فى جلسة مسائية دون حضور وزير العراق.

وأذيع البيان على كل الدنيا متضمنا خفض إنتاج البترول العربى وتكرار الخفض كل شهر.. وكانت المفاجأة الآثار الواسعة التى أحدثتها هذه القرارات وزادت حدة الاثار عندما عاد الوزراء للاجتماع مرة ثانية يومى ٤و ٥ نوفمبر ٧٣ وقرروا رفع نسبة التخفيض إلى ٢٥ فى المائة مرة واحدة.

وتجمدت أوصال العالم لهذا القرار.. وأصبح واضحا أن البترول العربى قد دخل الحرب بكل ثقله».

توفيق الحكيم أكبر خبطة صحفية فى حياتى

كثيرا ما يسألنى الصحفيون الشبان عن أكبر خبطة صحفية فى حياتى الصحفية معتقدين أننى لابد وأن أقول إنها الاعترافات التى أدلى بها لى الفنان فاروق الفيشاوى فى خلال الأزمة التى اجتازها مع الهيروين.. وهى اعترافات أثارت فى ذلك الوقت عام ٨٧ ضجة كبيرة واعتقد أنها حركت أمواجا كثيرة فى بحيرة الإدمان التى غرق فيها شباب كثيرون فى مصر .. ورغم أهمية. الاعترافات إلا أننى مازلت أعتقد أنها لم تكن الخبطة الصحفية الكبيرة فى حياتى..

لقد قابلت أناسا كثيرين من القمة إلى القاع، وأجريت أحاديث عديدة وعندما أفكر فى أهم هذه الأحاديث التى أجريتها أجد نفسى متوقفا أمام توفيق الحكيم الذى أودعنى فى فترة من فترات يأسه وانتظاره الموت ثروة أدبية لا تقدر بمال فقد كتب لى عن لقاء له فى الآخرة مع طه حسين وعباس العقاد.

وكتب لى بخط يده وعلى ورق المستشفى الذى كان يقيم فيه خلال فترة مرضه اعترافاته قبل أن يموت، وكتب لى بخط يده أسئلة كثيرة أجاب

عليها وكان ذلك فى عام ١٩٨٤ ولعله قد جاء الوقت الذى أخرج فيه من خزانة أرشيف هذه الثروة العظيمة لأديب ومفكر من أعظم أدباء ومفكرى مصر لكى يرى هذا الجيل كيف كان رجل فى مثل سنه فى ذلك الوقت (٨٦ سنة) يفكر ويكتب بيد ثابتة ودون أن يشطب كلمة.

ولقد لعب القدر بينى وبين توفيق الحكيم مصادفة غريبة.. فأنا ازعم أننى كنت أول من سجل حديثا فى الاذاعة لتوفيق الحكيم وكان ذلك فى بداية عام ١٩٧٣ عندما كنت اقوم بإعداد برنامج اذاعى اسمه «مصر الأمل» اردت أن ابدد به قبضة الياس التى أمسكت بمصر بعد هزيمة ٦٧ المريرة، وكانت مهمة الأعلام فى رأيى فتح نوافذ أمام الناس يدخل منها نور الأمل فى غد أحسن وأفضل لا مضاعفة همومهم.. وهكذا فاننى من خلال البرنامج كنت أقوم بزيارات عديدة للقاء العاملين فى مواقع عملهم وانتاجهم فى المصانع والمزارع والمشروعات كى أثبت ان عجلة الحياة لم تتوقف وأن المسيرة مستمرة.

وخروجا على المألوف قررت أن انظم رحلة لأدباء وكتاب مصر فى ذلك لوقت اصحبهم فيها إلى زيارة مصنع الحديد والصلب كى يروا لأول مرة افران الحديد وكيف يتم صهره وتشكيله.

كان توفيق الحكيم على رأس الكتيبة العظيمة التى ضمت من بين ما ضمت يوسف السباعى وإبراهيم الوردانى وكمال الملاخ وانور أحمد (رحلوا حميعا يرحمهم الله) وثروت اباظة وصلاح طاهر.. وفى هذه الزيارة وبعد لجولة التى قمنا بها أقام لنا رئيس الشركة مأدبة صغيرة لتناول الشاى البسكويت والجاتوه.. واتفقت مع المذيع الذى كان يقوم بعملية تسجيل حوارات التى أجريها على وضع الميكرفون فى باقة الورد التى تم وضعها

أمام توفيق الحكيم على أن أقوم بسؤاله عن مشاعره ومشاهداته.. وقد نجحت الخدعة بالفعل وتم لأول مرة فى تاريخ الاذاعة نقل صوت توفيق الحكيم عبر الأثير. .ذلك أن الحكيم عاش معظم حياته وهو مؤمن بأن دوره مع القلم والورق أما التسجيلات الاذاعية والتليفزيونية فقد ابتعد عنها تماما.. وفيما بعد اكتشفت أن الحكيم كان يخشى أن تتغير صورته أمام الناس لو أنهم سمعوه يتحدث فى الأذاعة أو رأوا صورته من خلال التليفزيون. فلما أن وثق بعد ذلك من أن هذه التسجيلات على عكس ما كان يتصور تزيد قرب الناس إليه ومعرفتهم به فإنه أصبح يقبل تسجيل أى حديث معه..

وكما كنت أول من سجل حديثا إذاعيا مع الحكيم فلقد كنت أيضا أول من سجل حديثا تليفزيونيا معه.. وقد جرى تسجيل الحديث فى مستشفى المقاولين العرب التى كان يعالج الحكيم فيها فى ذلك الوقت.. ولوقت طويل بعد دخوله المستشفى انقطعت أخبار توفيق الحكيم فقد تصور كل الذين سمعوا عن دخوله المستشفى أنه لن يخرج منها إلا إلى القبر فقد كان فى سن الـ ٨٦ فى ذلك الوقت عام ١٩٨٤. ولم يعد أحد يسأل عن توفيق الحكيم أو يزوره فى المستشفى.. حتى أصدقاؤه الذى تعود أن يلتقى بهم فى لقاء الجمعة زاروه بضع مرات ثم انقطعوا عن زيارته..

وفى ذلك الوقت كنا فى شهر رمضان.. وفكرت أن أسجل معه الحديث الأخير قبل أن يرحل عن دنيانا.. وعلى غير موعد ذهبت إلى المستشفى بعد الإفطار.. ودخلت الجناح الذى كان يقيم فيه .. كان بالغ الهدوء والكآبة كما لو كان الموت يقبع داخله فى الانتظار ـ كان توفيق الحكيم نائما فى ضعف لا يكاد صوته يصل إلى سمعى.. ولابد أنه أبدى دهشته من زيارتى له خاصة بعد أن انقطعت عنه الزيارات ليس بناء على طلب الأطباء ولكن

بناء على بعد الأصدقاء.. وللحظات ساد بيننا الصمت.. ولكن توفيق الحكيم لم يكن من هذا النوع من الناس الذى يمكن أن أجلس أمامه صامتا، فمنذ عرفته وأنا لا أدخل مكتبه إلا لإثارة قضية أناقشه فيها.. لم يحدث أن دخلت عليه فأسأله سمعت آخر نكتة أو أضيع وقته فى حديث تافه.. كان توفيق الحكيم من نوعية خاصة يسعدها أن تلقى حجرا فى بحيرة أفكاره لتحرك دوائر الفكر فى داخله.. وهكذا فإننى بعد لحظات من دخولى عليه فى المستشفى وجدت نفسى أدير جهاز التسجيل الذى صحبته معى وأنا أقول له: توفيق بيه.. حدثنى عن الموت.. لقد فهمت أنك كنت قريبا منه أو ربما عشته وأريد أن أسمع منك عن موتك.. هل تتمنى فعلا أن تموت.. هل كان حلما أردت أن تموت فيه ثم تعود إلينا لتحكى مشاهداتك عن الموت ولترى أثر موتك على أصدقائك وقرائك..

كان السؤال بلاشك قاسيا ومفزعا. ولكن من يعرف توفيق الحكيم كما عرفته أنا عن قرب يعرف أنه من النوع الذى لا يفزع.. بالإضافة إلى أننى أردت بهذه البداية أن أحكم على قدراته الفكرية بعد شهرين من مرضه.

والغريب والمثير ــ أن توفيق الحكيم أخذ يتحدث ويتحدث ويتحدث حتى امتلأت ثلاث شرائط كاسيت مدتها أربع ساعات ونصف كانت كل الذى معى وكان تصورى أننى سوف أفوز منه بتسجيل نصف ساعة ... «تصور أى مسرح فى آخر الليل بعد الجمهور ما يغادره والممثلين مايروحوا والعمال والموظفين يخلصوا شغلهم.. مسرح فاضى من غير جمهور.. من غير ممثلين من غير عمال أو موظفين.. إيه اللى فاصل له.. فاصل واحد بس .. عامل صغير يمد ايده ويطفى النور وأنا شايف إن ده الوقت المناسب اللى لازم ينطفى فيه نور مسرحى..

عاد توفيق الحكيم يقول: كان بيني وبين الموت شعره والدكاترة كانوا واقفين منتظرين آخر دقة يدقها قلبى علشان يعلنوا وفاتى ولكن المدهش أن قلبى رجع اشتغل تانى.. والنبض يعلى ويعلى كما لو أن ربنا بيقول لى استنى .. انت مش حتموت دلوقت ..

قلت له: توفيق بيه ـ كنت حاسس باللحظات دى.. كانت عندك إرادة الحياة وانتصرت بها .. قال بعصبيته النشطة: إرادة حياة مين؟ أنا كان عندى إرادة الموت.. سألت اخوانا الأطباء طيب ليه.. إيه الفايدة من حياتى لو طالت.. قالوا لى علشان تمتعنا ـ ليه هوه أنا مطرب.. يقولوا لى لا علشان تكتب لنا؟ مين يقول الكلام ده.. هوه أنا لسه حاكتب تانى.. أنا عايز حاجة لها قيمة. مهمة غير الكتابة.. الناس لو بتقرا كان يبقى فيه أمل.. لكن الناس النهارده للأسف لا تريد القراءة.. وإذا قرأت فهى تريد المقال الطازج السخن.. لكن أنا ليس عندى غير ذكريات قديمة وحياة قديمة.. والناس عاوزه الطازة.. عاوزه الجديد.. وانابقيت روبابيكيا..

توفيق الحكيم روبابيكيا..

هكذا كان شعوره بالفعل.. وزاد من هذا الشعور احاسيس الوحدة التي راح يعيشها فى المستشفى معزولا عن العالم.. ولم أتركه.. رحت أغوص فى أعماق أفكاره حتى استطعت أن انتزع رداء الكآبة الذى كان يرتديه.. وفى يوم الأحد ٩ يوليو عام ١٩٨٤ وكنت أكتب مقالا أسبوعيا فى صفحة الرأى بصحيفة الأهرام نشرت الجزء الأول من حوارى مع توفيق الحكيم وقد أعطيته عنوان: ثرثرة مع الحكيم على فراش المرض. أنا متفرج من عالم آخر لا يتمتع بشىء فى عالم اليوم

وفى مساء نفس يوم صدور الأهرام زرت الحكيم فى المستشفى - ورأيت أمامى شخصا آخر.. ليس المريض الذى كان ينتظر الموت قبل أيام قليلة.. كان صوت التليفون لم يتوقف عن الرنين منذ ظهر حديثه فى الأهرام - ولأول مرة منذ دخوله المستشفى بدأ يشعر بأن له دورا، وأن المسرح الذى يعيش فيه لم يغادره جمهوره ربما حدث عطل فنى ولكن الجمهور مازال فى الانتظار .. كانت الوردة الذابلة التى مالت على جانبها استعدادا للسقوط قد ارتوت بمكالمات الأصدقاء وزياراتهم التى بدأت تعرف طريقها إلى المستشفى.

وبوجه متهلل استقبلنى توفيق الحكيم، وبدأ يسأل ان كان هناك ما لم ينشر من الكلام الذى قاله لى فى المرة السابقة وقلت له نعم ولكن هناك بعض أسئلة إضافية أريد أن أسألك فيها، وبترحيب شديد قال لى: هات كل الأسئلة التى تريد أن تسألها .. اكتبها لى فى ورقة وسوف أكتب لك الرد عليها..

وتصورته يمزح ولكننى اكتشفت عند زيارتى له فى اليوم التالى أنه أجاب على كل ما تركته له من أسئلة.. وفى بعض الأحيان كان يكتب هو السؤال ويجيب عليه..وشجعنى هذاعلى أن أطلب منه أن يتصور أنه مات وانتقل إلى العالم الآخر والتقى بالذين سبقوه إلى هناك.. وطلبت إليه أن يكتب لى اعترافاته قبل أن يموت..ووضعت أمامه قضايا كثيرة عديدة كان سعيدا جدا بأننى أثرتها معه.. ورغم أننى نشرت فى الأهرام سلسلة أحاديثه وعلى سبع حلقات إلا أننى لم أتمكن من نشر الكثير مما كتبه بخط يده واحتفظت به طوال السنين..

ولقد برأ توفيق الحكيم من أصابته وخرج إلى الحياة بعد أن كان قد اعتقد أنه قد مات فعلا بسبب انقطاع الناس عن زيارته والسؤال عنه

والاهتمام به وإحساسه بعد ذلك أنه مسرح مهجور لا فائدة منه.. وعندما وجد الجمهور يزحف مرة ثانية إلى مسرحه عاد إلى الكتابة ودبت فيه الحياة.. وامتد به العمر ثلاث سنوات كاملة إلى أن مات في يوليو ٨٧.. ولكن ثروته الفكرية التي تركها لي كانت أعظم جائزة حصلت عليها في تلك الفترة.. صحيح أن أحاديثي معه كانت من أهم الأحاديث الفكرية الممتعة التي أجريتها.. ولكن كتاباته التي اختصني بها كانت أكبر خبطة صحفية حققتها.

من دمياط .. الى مؤتمر السكان!

دعانى أحد الاصدقاء للغداء فى بيته وقال لى فور ان دخلت منزله: تعال وانظر.. ومددت البصر من النافذة التى فتحها فوجدت بحرا من الأطفال يملأ شبرين من الارض داخل مبنى قال لى انه مدرسة! هنا يتعلم الرجال الدين سيقودون مستقبل مصر ويحكمونها. هنا يعيشون ويحلمون ويمضون اجمل سنوات العمر.. هنا يتنفسون ويتربون ويكتسبون المواصفات التى يواجهون بها حياة المستقبل.. إنهم فى مظاهرة دائمة.. مظاهرة خانقة.. اين هذا من المدارس التى تعلمت فيها؟ اننا نخطئ عندما نعتقد أن المدرسة لتعليم الدروس فقط.. إن الأهم من تعليم الدروس تعليم الحياة.. لقاء الزملاء . تكوين الصداقات.. اكتساب العادات.. تحرير النفس من العقد الكثيرة التى يمكن ان يحملها الشاب الصغير معه عندما يكبر..

مازلت اذكر مدرسة دمياط الابتدائية.. أول مدرسة حكومية دخلتها.. كان ذلك فى عام ١٩٤١ . لم تكن فى الواقع مدرسة وانما كانت بمقاييس هذه الأيام الحالية قصرا كبيرا.. قصرا بالغ الأبهة والنظافة والاتساع والتنوع.. كان عددنا فى الفصل محدودا.. وكان الاستاذ يعرفنا بالاسم.. وكنا نعرف بعضنا واحدا واحدا.. وكان اهم ما فى المدرسة

مرافقها: الحوش الواسع الذى كنا نتجمع فيه كل صباح فى طوابير منتظمة.. وكان هناك ضابط المدرسة الذى يشرف على تنظيم هذه الطوابير.. وكانت هناك حملات تفتيش مفاجئة يقوم فيها أحد المسئولين عن الطوابير بالمرور علينا والتأكد من نظافة الحذاء واستك الشراب ونظافة المظهر وعدم طول الأظافر والشعر.. وكان يكفى لطالب مخالف أن يأمره المسئول بالخروج من الصف والوقوف امامه كى يشهد زملاؤه كيف يسىء اليهم بعدم النظافة او العناية بملبسه أو حذائه!

كنا فى ذلك الوقت فى سنوات الحرب.

وكان للانجليز الذين كانوا يحتلون مصر معسكرات فى عدد كبير من المدن ومنها معسكر قرب دمياط فى بلدة صغيرة اسمها عزبة اللحم.. وفى هذا المعسكر كان الانجليز يتدربون عسكريا ورياضيا وكان من ضمن برامجهم الرياضية تكوين فريق لكرة القدم يأتى إلى مدرستنا يوم الاثنين أو الخميس ليلعب مع فريق المدرسة ولم يحدث ابدا أن ذهب فريقنا إلى معسكرهم وإنما كانوا هم الذين يحضرون إلى مدرستنا.. وكنا نتجمع يوم المباراة لتشجيع فريقنا المدرسى الذى يضم الطلبة الكبار الذين فى المدرسة الثانوية فقد كان المبنى يضم فصول المدرستين معا الابتدائية والثانوية.

وفى حوش المدرسة تعلمنا حب مصر.. فقد كان فريق المدرسة الذى يلعب امام الإنجليز يمثل بالنسبة لنا كل مصر..

ومن حوش المدرسة إلى صالة الالعاب و«القسم المخصوص» الذى كنا جميعا اعضاء فيه ونمارس من خلاله العاب القوى من جرى، وعقلة، ومتوازيين، وقفز على الحصان الخشبى وإقامة عدد من المهرجانات كان يتعين علينا جميعا ان نحضرها بملابس بيضاء بسيطة ولكن نظيفة: الفانلة والشورت والشراب والحذاء الكاوتشوك . كلها بيضاء..

ومن صالة الألعاب إلى الحديقة التى تعلمنا فيها درس الفلاحة والتأمل فى جمال الزهور العديدة التى كانت تغطى المساحة الواسعة لهذه الحديقة.

ومن الحديقة إلى قاعة الندوات وقاعة الفنون والمسرح والخطابة.. والمطعم الذى كنا نأكل فيه يوميا.

وكانت فترة الطعام فترة للتعلم ايضا فقد كنا ندخل المطعم فى طوابير وكان كل ستة منا يجلسون معا.. وفى كل يوم يقوم احدنا بدور «الألفة» وتوزيع الطعام على باقى الزملاء.. وكان طبيعيا أن تكون هناك قطعة لحم أصغر من زميلاتها فكان ضروريا أن يختص «الألفة» زملاءه بالقطع الاكبر وأن يحتفظ لنفسه بالقطعة الصغيرة وهكذا تعلمنا إيثار الآخرين وعدم الأنانية.

•••

ومن مدرسة دمياط الثانوية انتقلت إلى مدرسة التوفيقية الثانوية وقد جئت إليها فى سن الرابعة عشرة وأنا فى السنة الثالثة وكان أول زميل لى فى الفصل الصديق الذى لازمنى سنوات طويلة أحمد بهجت الذى تصادف أن دخلنا دراسة واحدة هى القانون ثم عملنا مهنة واحدة هى الكتابة ثم تزاملنا فى اخبار اليوم وفى الأهرام بل واحيانا فى صفحة من الأهرام كان يكتب فيها صندوق الدنيا وكنت أكتب فيها مجرد رأى

وفى مدرسة التوفيقية عرفت أن المدرسة لاتغلق صيفا، فقد كنا نحولها إلى ناد مفتوح يوميا حتى العاشرة مساء للعب الشطرنج والكرة الطائرة والريشة الطائرة والسلة والبنج بنج....الخ.

وعندما وصلت إلى القاهرة وأنا فى السن الرابعة عشرة بهرتنى من زحامها!

كانت دمياط فى ذلك الوقت مدينة صغيرة، أما القاهرة فكانت العاصمة الكبيرة التى يسير فيها الترام والاتوبيس والمترو والتروللى باس.. ولكننا فى هذا الزحام كنا نستطيع أن نلعب فى الشوارع.. فقد كان من النادر أن تمر سيارة.. وفى هذا الزحام كان من النادر أن نركب الترام أو الاتوبيس أو المترو ولا نجد مقعدا نجلس عليه.. ونصف الروايات والكتب التى قرأتها قرأتها فى وسائل المواصلات، وهى عادة موجودة فى كثير بل فى كل الدول الأوروبية التى تتمتع بمواصلات يستطيع الراكب أن يجد فيها مقعدا.. وقد اصبحت اقيس زحام المدن من خلال وسائل االمواصلات العامة.. فالدولة التى تركب فيها تراما أو اتوبيسا وتجد كرسيا تجلس إليه دولة لاتعانى من زيادة السكان، أما إذا كانت الشعبطة على سلالم وسائل المواصلات «فنا» ضروريا يجب على المواطن تعلمه فإنى ادرك أن هذه مدينة مزدحمة... وبهذا المقياس نستطيع أن نحكم على المدى الذى وصلت اليه مصر فى الزحام.. ولقد تعودت عند مرورى بجانب سيارة اتوبيس ـ وانا فى داخل سيارتى الخاصة ـ الا أرفع عينى لارى ركاب الاتوبيس لمعرفتى أن هذه النطرة تجرح كثيرين منهم الذين لابد وأن يقارنوا بين العذاب الذى يعانونه داخل الاتوبيس والراحة التى اعيشها فى سيارتى.

●●●

لكن ما يحدث فى الاتوبيسات ليس إلا وجها واحدا من اوجه الزحام الخانق الذى اصبح يحاصرنا فى كل مكان.. فى المدرسة التى اختفى منها الحوش والملعب والمطعم وقاعة الرسم والحديقة وصالة الالعاب والمسرح

والندوات.. فى الشارع الذى اصبحنا نصطدم فيه ببعضنا ولانستطيع حتى السير فى بعض الشوارع.. فى بقايا الحدائق التى يخرج إليها المختنقون فى بيوتهم وقد تحولت هذه البيوت إلى اتوبيسات أخرى من كثرة الزحام حتى وصل الامر إلى حياة عشرة فى غرفة واحدة ومنهم ازواج يمارسون حياتهم أمام أولادهم.. فما الذى ننتظره، بعد ذلك من هذا الجيل عندما يكبر ويقود ويحكم مصر؟

وهذا الزحام ليس مشكلة مصر وحدها وانما مشكلة كل دول العالم الثالث التى تتشابه فى فقر الفكر وفى الأمية..

هذا الفقر فى الفكر هو الذى يجعل البعض يقول بتحريم تنظيم الأسرة لأن ذلك تدخل فى ارادة الله ومنع مجىء أولاد يريد الله أن يأتى بهم إلى الحياة.. ومثل هذا القول غير صحيح على إطلاقه لأن الله اذا أراد أن يأتى بأولاد إلى الحياة فإن أى قوة لاتستطيع منعهم.. ولست اعرف لماذا نعتبر تنظيم الزوجين لعدد أولادهما تدخلا فى إرادة الله، ولايعتبر الإنسان إجراء عملية جراحية أو استخدام دواء للعلاج من أحد الأمراض القاتلة أو دخول غرفة الانعاش كل ذلك تدخل فى إرادة الله لإطالة الحياة؟ .. إن الثابت أن متوسط عمر الإنسان فى كل العالم قد زاد فى النصف قرن الماضى بصورة ملحوظة نتيجة الاكتشافات العلاجية التى أصبحت تعالج الكثير من الأمراض القاتلة اذكر مثلا أمراض العيون التى تصيب الأطفال وعندما كنت فى دمياط كان هناك ما يسمى «السبع بنات» وهن عبارة عن سبع راهبات وصلن إلى دمياط فى مهمة إنسانية لعلاج عيون الأطفال من أمراض الرمد التى نادرا ما كان أى طفل ينجو منها.. ولم نكن نعرف فى ذلك الوقت اطباء الأطفال ولكننى زرت «السبع بنات» أكثر من مرة لعلاج ما اصابنى من رمد.

كذلك من النادر أن افلتت أسرة من وفاة أحد أطفالها.. ولهذا كان الفلاح المصرى ينجب عددا كبيرا من الأولاد لمعرفته بأن بعضهم سوف يموت. ولكن كل ذلك تغير وانخفضت بصورة ملحوظة وفيات الأطفال، وزادت بصورة ملحوظة ايضا متوسطات العمر واصبح متوسط عمر المصرى اليوم يقترب من ٦٠ سنة بعد أن كان هذا المتوسط ٣٥ سنة فقط.. فهل يعتبر ذلك تدخلا فى إرادة الله وأن الإنسان استطاع أن يطيل عمره رغما عن إرادة الله؟!

إن الله اختص الإنسان بالعقل وبالتاريخ.. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى يعرف له تاريخ، ومن هذا التاريخ يستطيع أن يتعلم.. ولهذا سيظل الانسان يصطاد السمكة بالسنارة والفار بالمصيدة كما كان يفعل ذلك من ألف سنة لأنه لا السمكة ولاالفار ولا أى حيوان له عقل وتاريخ يتعلم به ومنه ...

وإرادة الله هى التى اوحت للإنسان بالاكتشافات العلمية التى كانت سببا فى علاج الأمراض التى كانت تقتله.. فليس تنظيم الأسرة تدخلا فى إرادة الله، ولاقتلا للأولاد لأن عملية التنظيم تعنى أن يتحاشى الزوجان فرصة مجىء الأولاد حتى يتهما بقتلهم.. ولهذا كان طبيعيا بعد النعيم الذى عشته فى طفولتى وفى صباى مستمتعا بمدرسة واسعة فيها حوش وملعب ومطعم وصالة للألعاب واخرى للفنون أن أرى الذى شاهدته اخيرا فى موتمر عالمى للسكان يضم كل دول العالم فى محاولة لانقاذ البشرية من جحيم الزيادة السكانية التى أصبحت تعانى منها الدول الفقيرة اقتصاديا وفكريا.

وليس معنى هذا المؤتمر أن المشكلة قد تم حلها.. فالزيادة السكانية ضحية لسببين أولهما المواليد القادمون وثانيهما زيادة متوسط عمر الإنسان

نتيجة التحسينات فى الرعاية الصحية والاكتشافات العلاجية الجديدة.. ولكن قيمة المؤتمر فى انه لأول مرة تناقش كل الحضارات والثقافات فيه وتتناول قضايا تمس امور المعتقدات وحياة الناس الخاصة بالنسبة لموضوعات الجنس والانجاب.. ولاول مرة يتم تسليط الضوء بهذه القوة على مشكلة تعانى منها دول كثيرة ومصر فى مقدمتها.. والمهم أن نتعلم.. نتعلم مما جرى لنا حتى نستطيع أن نعلم أولادنا فى مثل المدارس التى تعلمنا فيها.. مدارس لها أحواش وملاعب وقاعات للندوات والفنون والألعاب. مدارس تخرج اجيالا صالحة غير معقدة قادرة على قيادة مستقبل مصر إلى الافضل.

أخرت انتقال هيكل للأهرام سنة!

كان ذلك فى أحد أيام شهر مايو ٥٦. وكان قد مضى على عملى فى مجلة آخر ساعة أكثر من ثلاث سنوات نمت فيها علاقاتى مع الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير المجلة. وكانت مجموعة المحررين فى المجلة صلاح هلال نائب رئيس التحرير ومحمد وجدى قنديل وجميل عارف والمرحومة فتحية بهيج والمرحوم صلاح جلال وسليمان خطاب ومصطفى نجيب وسكرتير التحرير سليم زبال ومعه اوسكار مترى يكونون «طبقة» خاصة متميزة عن باقى محررى الدار الذين يعملون فى الاخبار اليومية وذلك بسبب المكانة الخاصة التى وصل اليها هيكل وعلاقاته القوية التى اصبحت معروفة مع حاكم مصر القوى جمال عبدالناصر.

وكان هذا الوضع المميز الذى أصبحنا فيه يمكننا من التعرف على أى زميل فى الاخبار نريد التعرف عليه فقد كان هو الذى يسعى الينا ولسنا نحن الذين نسعى اليه. وكان من اخف الزملاء الذين عرفتهم واحببتهم واصبحت اتردد عليه كثيرا فى مكتبه الزميل حمدى فؤاد.

وفى ذلك اليوم من أيام شهر مايو ٥٦ وكنت فى مكتب الاستاذ هيكل أعرض عليه بعض الموضوعات وقد لاحظت عليه أنه يعانى شيئا..

وتجرات وسألته.. وكانت مفاجاة أن أسمع منه أنه بالفعل يواجه قضية تحيره فقد تلقى عرضا بالانتقال الى رئاسة تحرير جريدة الاهرام وأنه فى حالة صراع بين مشاعره العاطفية للدار التى شهدت سنوات قفزاته وصنعت اسمه إلى جانب العلاقات الخاصة التى ربطته بالتوأمين علي ومصطفى أمين صاحبي دار اخبار اليوم، وبين تطلعاته إلى أن يحقق مجده الخاص فى مؤسسة صحفية كالأهرام لها تاريخها القديم وإن كانت قد تعرضت فى ذلك الوقت إلى الجمود بسبب توقفها عند نموذج صحافة الثلاثينات بالأسلوب التقليدى القديم الذى لم يلاحق تطورات العصر وإيقاع السرعة التى أصبحت تميز تطورات ما بعد الحرب العالمية بصورة عامة التطورات فى مصر بعد ثورة يوليو ٥٢ بصورة خاصة. فقد كان من سمات الثورة كثره الأخبار والأحداث والمعارك والقضايا والقرارات التى كانت تعيشها .

كان أكثر ما يخشاه الأستاذ هيكل ـ كما قال لى ـ علاقته الخاصة بعلى أمين بالذات ولكن فى النهاية لابد أن يواجه الإنسان قدره ويدخل التجربة. وهكذا فإن هيكل كان قد استقر رأيه كما أبلغنى على قبول العرض والانتقال إلى الأهرام.

وخرجت من مكتب هيكل حائرا.. فانتقاله إلى الاهرام قضيته، ولكن ماذا عنا نحن فى آخر ساعة وقد ارتبطنا به وكان يحسدنا الزملاء فى جريدة الاخبار على هذا الارتباط؟

وذهبت إلى حمدى فؤاد فى مكتبه فى الطابق الذى يقع أسفل الطابق الذى كانت فيه آخر ساعة. ولم أكن أعرف أن ما قاله لى هيكل يعد سرا لم يبح به لأحد. كان تصورى أن هناك آخرين يعرفون. وسألت حمدى فؤاد: تعرف أن هيكل رايح الأهرام؟ وكعادة حمدى امام خبر

جديد لمعت عيناه وأخذت أذناه وضع الاستعداد التام لسماع كل حرف. وحكيت لحمدى أننى كنت قبل دقيقة واحدة مع الاستاذ هيكل وأنه خلاص سوف ينتقل إلى الإهرام.

وقبل أن اختم كلمتى رفع حمدى سماعة التليفون وأدار رقما خاطبه بقوله: ياأنيس.. عرفت أن هيكل رايح الاهرام؟

وانتظر حمدى لحظة قبل أن يعاود الكلام قائلا: فلان عندى ونازل من عند هيكل وسمع منه الخبر.

ووضع حمدى فؤاد سماعة التليفون.. ومضت عشر دقائق لا أكثر دق بعدها التليفون.. وسمعت حمدى يناولنى السماعة وهو يقول: علشانك.

وأمسكت السماعة وكان الاستاذ هيكل على الجانب الآخر وقد جاءنى صوته ليسأل: انت فين؟

وأجبته.. فطلب إلى أن اذهب إليه..

وتركت مكتب حمدى الذى دخلته من عشر دقائق تقريبا.. ودخلت مكتب الاستاذ هيكل وكانت الزميلة مريم روبين مسئولة قسم المعلومات فى ذلك الوقت ومحررة الشئون العربية بعد ذلك (حاليا نائب رئيس تحرير مجلة اكتوبر) تعرض عليه بعض اوراق كان قد طلبها. وما إن خرجت حتى فوجئت بهيكل يسألنى: انت قلت ايه عن انتقالى للأهرام؟ ولم يكن هناك مفر.. فأبلغته بكل كلمة قلتها لحمدى وتليفون حمدى لأنيس منصور.. وقال لى هيكل بأسف: مش عارف اقول لك ايه.. الحق على أنا؟!

• • •

كان كل شئ قد اصبح واضحا .. ففى لحظات انتقل الخبر منى إلى حمدى فؤاد إلى أنيس منصور إلى على أمين الذى اتصل بهيكل تليفونيا وهو منزعج يسأله ويطلب اليه أن يلقاه فى مكتبه وكان اللقاء عاطفيا.. فعلى أمين راح يبكى.. ومصطفى أمين يشاركه، وهيكل بالضرورة كان عليه أن يبكى.. فقد كانت المفاجاة للجميع بما فى ذلك هيكل الذى لم يكن قد رتب كيف يعرض الموضوع عليهما، وانتهى المشهد العاصف بوعد من هيكل بألايترك اخبار اليوم ويذهب إلى الاهرام. وقد اتضح ان الاتفاق على انتقاله إلى الإهرام فى ذلك الوقت قد سار خطوات بعيدة، وكان المرحوم على باشا الشمسى رئيس مجلس ادارة البنك الأهلى ورئيس مجلس إدارة الأهرام فى ذلك الوقت هو الذى قدم العرض إلى هيكل واستشار هيكل صديقه الاستاذ مصطفى مرعى المحامى الشهير فأيد الفكرة وقطع الاثنان شوطا كبيراً فى الجلوس إلى عضو مجلس الادارة المنتدب للأهرام ريمون شميل والاتفاق على شروط العقد والوصول إلى صيغة نهائية تم توقيعها بالأحرف الاولى تمهيدا للاتفاق النهائى.

ولكن هاهو اللقاء العاطفى بين هيكل وعلى أمين ومصطفى أمين بعد أن تكشف لهما السر فجأة يهدم كل شئ..

وكان ذلك فى مايو ٥٦، وكان المنتظرإذا جرى تنفيذ العقد أن ينتقل هيكل إلى الأهرام فى صيف ٥٦ ولكن بسبب ما حدث بدا أن فكرة انتقال هيكل إلى الأهرام قد انتهت، ولكن حدثت بعد ذلك ظروف جعلت هيكل ينتقل إلى الأهرام اعتبارا من اغسطس ٥٧ بعد سنة كاملة.. وفى هذه المرة لم يخبرنا هيكل إلا بعد أن وقع العقد وأصبح تنفيذه لا رجعة فيه.

وقد علمتنى التجربة بعد ذلك أن أكتم السر كما يقولون خاصة بين الزملاء الصحفيين ولعل هذا ما جعلنى بعد ذلك ابحث عن صداقات

خارج المهنة بعد أن اكتشفت أن صداقة المهنة لابد وأن تتأثر بعناصر المنافسة والتكتم والكلام بحذر.. ولايمنع ذلك من «أوضاع خاصة» مع بعض الزملاء.. أما الصداقات القوية فلقد وجدتها خارج المهنة وكان أول من ارتبطت بصداقته المرحوم عبدالرؤوف على الذى كان يعمل فى نيابة أمن الدولة والعمل بالمحاماه واصبح واحدا من المحامين المشهورين لكنه مات صغيرا متأثرا بأزمة قلبية.!

ومن خلال انضمامى إلى نادى الروتارى الذى كان للزميل الاستاذ كمال نجيب فضل تقديمى اليه اتسعت دائرة معارفى بشخصيات متعددة خارج المهنة.. وقد مضى على عضويتى الروتارية أكثر من ٢٥ عاما قرأت خلالها هجوم البعض على الروتارى لدرجة جعلتنى أتصور انهم يتحدثون عن شئ آخر غير الذى انضممت اليه، لقد اتاح لى الروتارى التعرف إلى شخصيات ممتازة ارتبطت مع بعضها بصداقات قوية وهذا فى حد ذاته من أهم النتائج التى يحققها الروتارى.

إن فكرة الروتارى بدأها امريكى اسمه بول هاريس وجد أن الصداقة عنصر هام من عناصر الحياة، وأن أفضل الاصدقاء هم الذين لاينتمون إلى المهنة الواحدة فالعلاقات بينهم خالصة ومفتوحة.

وكان ـ يعمل بالمحاماة ـ ينتقى مجموعة مختلفة من الأفراد: طبيبا ومهندساً ورجل أعمال ومشتغلا بالتدريس ومهندساً زراعيا ورجل قانون.. الخ.. وقد اتفقوا فيما بينهم على عقد اجتماع أسبوعى فى بيت كل واحد منهم بالتناوب.. ومن هنا جاء اسم الروتارى وبعد فترة استقر رأيهم على استبدال مكان اجتماعاتهم.. فبدلا من ان يجتمعوا فى بيت واحد منهم اختاروا أحد الأماكن العامة ونقلوا اجتماعاتهم اليه، وراحوا يتوسعون فى قبول اعضاء جدد بشرط التنوع والاختلاف فى التخصصات وقد راجت

الفكرة رواجا كبيرا وانتشرت فى مختلف الدول. وفى مصر بدأ الروتارى عام ١٩٢٩ وكان قاصرا على ناد واحد زاد حتى وصل اليوم اكثر من ٢٠ ناديا وقد اصبح من عادة كل ناد ان يستضيف فى اجتماعاته إحدى الشخصيات التى تحدث الأعضاء فى موضوع متصل باهتماماتهم بما يزيد من معرفة وثقافة الاعضاء.. والى جانب ذلك فهناك بعض المشروعات الاجتماعية التى يشارك أعضاء كل ناد فى تنفيذها بما يحقق الترابط بينهم وبين مجتمعهم وربما يجعلهم أيضا مواطنين صالحين.

إنى أعجب كثيرا للذين يتحدثون عن الروتارى ويصفون أعضاءه بأنهم مجموعة ملحدين وعملاء وأعضاء فى عصابة دولية.. وهذه ليست اتهامات بل أستطيع أن أقول إنها من واقع معرفتى تخاريف وأفكار عششت فى بعض الرؤوس القديمة وتناقلها أخرون دون أن يحاولوا معرفة إذا كانت صحيحة أم لا.

يوم قلت ليوسف إدريس

كان يوسف إدريس من الشخصيات القليلة التى تحملت الخلاف معها إلى أن عرف خطأه فعادت علاقة المحبة والتفاهم والصفاء التى كانت تجمعنا. وقد خلصت «تارى» منه فى «مقلب» ساعدت الصدفة على إتمامه وكان أغرب مقلب دبرته ضد زميل!

كنا فى خريف عام ١٩٨٨ وكنت وقتها فى زيارة إلى لندن أرافق فيها زوجتى الراحلة ضمن رحلة العلاج الطويلة التى قطعناها وتحملتها بصبر وجلد غريبين.. وطالت الرحلة لعدة أسابيع وكنا خلالها نستاجر شقة مفروشة لتوفير مصاريف الفندق عندما نشرت الصحف أن الرئيس العراقى صدام حسين قد أهدى الدكتور يوسف إدريس
الأدبى، وكانت اللجنة الخاصة بهذه الجائزة قد قررت إهداء الجائزه مناصفه بين يوسف إدريس والكاتب الفلسطينى جبرا إبراهيم جبرا المقيم فى بغداد منذ عام ١٩٤٨! ولكن يوسف أدريس المعتز دائما بنفسه رفض مبدأ المناصفة وأرسل برقية لصدام حسين يحتج فيها على قرار الاقتسام ويتهم لجنة التحكيم بعدم الحياد. وكان رد صدام حسين أنه أمر بتعديل لائحة الجائزة بحيث ينال المبدع الأدبى قيمة الجائزة كاملة مهما كان عدد الفائزين بها

وهكذا فإنه فى يوم ٩ سبتمبر ١٩٨٨ نشر الاهرام أن وزير الثقافة والإعلام العراقى «لطيف جاسم فى ذلك الوقت» أرسل برقية عاجلة إلى الدكتور يوسف أدريس يخبره فيها بتعديل لائحة الجائزة ويهنئه على نيل الجائزة كاملة ومقدارها ٣٠ ألف دولار بالإضافة إلى نيله وشاح صدام للأدب والفنون.

ووجدت من الضرورى أن أهنىء يوسف أدريس فاتصلت به فى بيته لأسمع صوت زوجته السيدة رجاء تعتذر فى طيبة عن علم وجود يوسف وتسأل عن المتحدث وقد عرفت من صوت الرنين أن المكاملة من خارج مصر.

وبدون أى سابق إعداد وبطريقة عراقية قلت لها : هنا مكتب الرئيس القائد صدام حسين وكان سيادة الرئيس القائد يود أن يكلم الدكتور يوسف إدريس ليهنئه بنفسه على الجائزة!

وارتبكت السيدة رجاء واعتذرت-لأن يوسف لو عرف أن الرئيس العراقى سوف يتصل به لما خرج من المنزل وهى لا تعرف ماذا تقول له ولكننى طمأنتها باعتبارى مدير مكتب الرئيس أن سيادة الرئيس القائد سوف يعاود الاتصال به غدا. وكان ردها أنها ستبلغه وسيكون جاهزا فى الانتظار فى أى وقت لتلقى مكالمة «الرئيس»!

ووضعت السماعة فلقد وجدت من الحرج بعد كل ذلك أن أكشف لها عن حقيقة شخصيتى ووجدت أن كذبة بيضاء لا تضر بل قد ترفع الروح المعنوية!

وجاء اليوم الثانى السبت ١٠ سبتمبر ١٩٨٨ ومن سوء حظ يوسف إدريس أننى كنت متضايقا فتذكرت مكالمته.. وطلبت رقم تليفونه فى المنزل

كنت أريد بذكر اسمى أن افتح ثغرة فى حائط الحوار الجدى الذى كان يجرى ولكن يوسف على العكس من ذلك أخذ الأمر بجدية أكثر.. وحاولت أن أكرر محاولة فتح الثغرة فكررت عليه اسمى وسألته إن كان يرانى فقال لى بجدية: بالطبع يرانى وسيبلغنى «بأمر الرئيس» بزيارة العراق..

لم يعد هناك طريق للتراجع - فلم يكن من الممكن فى نفس المكالمة أن أصدم يوسف بأننى لست صداما، وهكذا وجدت نفسى أضع السماعة منهيا المكالمة..

كانت زوجتى تتابع الحديث وقد أدركت المقلب فاشفقت على يوسف وطلبت منى ضرورة الاتصال به والاعتذار.. واتصلت به بالفعل ولكننى وجدت تليفونه مشغولا.. وكررت المحاولة إلى أن نجحت بعد نصف ساعة تقريبا فى إجراء المكالمة.

وفى هذه المرة تحدثت إليه بصفتى الحقيقية ليأتينى صوته مجلجلا ومرحبا متسائلا : إنت فين يا إستاذ؟

قلت: فى لندن

قال: تجمع حقيبتك وتحضر فوراً!

قلت: ليه يا يوسف.. خير

قال: مطلوب حالا لزيارة العراق معى منذ دقائق كان الرئيس صدام حسين يتحدث إلى وطلب منى أن أزور العراق وأن تكون معى .. «الرئيس» يطلبك فى العراق..

قلت له ضاحكا: يا راجل اعقل..

قال مهددا: إذا لم تقبل ساجعلهم يقبضون عليك ويحضرونك بالقوة! هذا تكليف من الرئيس!

وقلت له بطريقة جادة: رئيس إيه يا يوسف الذى تتحدث عنه أنا الذى كنت أكلمك..

وتقبل يوسف جملتى على اعتبار أنها نكتة وعاد يكرر لى أنه سيتصل بالسفارة العراقية فى لندن لكى تبلغنى بالسفر رسميا إلى العراق بناء على طلب الرئيس صدام!

وفى هذه المرة واجهت يوسف بالحقيقة التى صدمته فعلا.. حقيقة أننى الذى كنت أتحدث إليه، وأننى طلبت زوجته أمس، وطلبته اليوم والعبارات التى قلتها والعبارات التى قالها.. الخ .

كانت الصدمة شديدة فعلا وقد واجهها يوسف بثورة عارمة فهمت منه أنه اتصل بالأهرام بمكتب الاستاذ سلامة أحمد سلامة مدير التحرير يبلغه بالاتصال التليفونى الذى أجراه الرئيس العراقى معه وشكره له على هذه المكالمة.. وكان ضروريا بالطبع أن يعيد يوسف الاتصال بمكتب الاستاذ سلامة لا لكى يبلغه أن الموضوع كان مقلبا شربه وإنما بضرورة تأجيل نشر خبر المكالمة بناء على طلب الرئيس العراقى!

ومضت الأيام..

وعدت إلى مصر

والتقيت بيوسف وكان لقاء بالأحضان رغم المقلب الذى شربه...

وكان الأغرب من ذلك أن يتصادف بعد أسبوعين من هذا المقلب أن يكتب يوسف مقالا ـ أراد الرئيس حسنى مبارك كما هى عادته مع بعض

الكتاب ـ مناقشة يوسف فيه وتوضيح حقيقة لا يعرفها له واتصل سكرتير السيد الرئيس بمنزل يوسف إدريس وسمع يوسف صوت المتحدث يقول: دكتور يوسف؟ هنا مكتب سيادة الرئيس.

وفوجئ سكرتير الرئيس بيوسف إدريس يغلق السماعة فى عصبية وكرر السكرتير المكالمة للمرة الثانية وفى هذه المرة سمع سكرتير الرئيس يوسف إدريس يقول بثورة: يا صلاح يا منتصر بطل مقالب كمان حتعملها مع الرئيس مبارك؟ وبعصبية بالغة أغلق السماعة أمام دهشة السكرتير!

وقابلنى سكرتير الرئيس وسألنى عما بينى وبين يوسف إدريس وروى لى ما حدث عندما كان الرئيس مبارك يريد مكالمة يوسف لكنه أغلق السماعة مرتين..

ولم اكشف لسكرتير الرئيس تفاصيل المقلب الذى دبرته ليوسف.. والصدفة الغريبة التى جعلت مكالمة الرئيس مبارك الحقيقية له تأتى بعد أيام قليلة من المكالمة الزائفة مع رئيس العراق..

ولكننى كما قلت ليوسف بعدها أخذت بثأرى منه بعد الموقف الخلافى الذى وقفه يوسف منى بدون أى سبب وهجومه الشديد على وقد تحملت ذلك بهدوء .. فقد كنت أحب يوسف بالفعل .. وظلت علاقتنا قوية إلى آخر يوم فى عمره.. يرحمه الله ويرحمنا جميعا..

٢٠ سنة أمام المحاكم بسبب حرف "الواو" !!

كان من بين المبررات التى دافع بها الذين أيدوا القانون ٩٣ لسنة ٩٥ الخاص بتعديل عقوبات الرأى وتشديدها إلى درجة الجمع مرة واحدة بين الحبس أو السجن والغرامة الكبيرة التى تصل إلى عشرين ألف جنيه قولهم وما الذى يخافه الشرفاء والملتزمون من هذا القانون الذى صدر يطارد غير الشرفاء وغير الملتزمين .

والواقع أن الشرفاء هم الذين يخيفهم القانون أكثر من غيرهم خصوصا إذا كانت الكلمات التى تستخدمها مواد القانون من نوع تكدير السلم العام والازدراء والإشاعات والبيانات المغرضة وغير ذلك من العبارات المطاطة التى تضمنتها التعديلات الجديدة. فهذه العبارات يمكن فى أى لحظة استخدامها للإطباق على عنق أى كاتب أو صحفى وتهديده بالخطر والعقاب

والشرفاء أكثر من غيرهم هم الذين يخافون كما أن أصحاب الحقوق هم أكثر من غيرهم الذين يقلقهم الوقوف أمام المحاكم.. فالقاضى مهما

كان هو فى النهاية بشر ومن صفات البشر الخطأ ولما كانت احتمالات الخطأ واردة لهذا أصبحت سمة من سمات أصحاب الحقوق أن يصيبهم الخوف من الأخطاء التى يمكن أن يتعرضوا لها أمام القضاء، أما غير أصحاب الحقوق فلا تهمهم أية خسارة لأن الحق ليس حقهم وأى شىء يقضى لهم به هو مكسب خالص مخصوم من صاحب الحق..

عرفت صديقا عاش قضية بدأت منذ عام ٧٥ تفرعت إلى أكثر من ٢٠ قضية وجد نفسه طرفا فيها لمجرد أن خصمه وجد نفسه ـ بعد إحالته إلى المعاش ـ متفرغا لاقتناص أية غنيمة يفوز بها بينما صاحبى صاحب الحق يكتوى بنيران القلق!

هذه القضية يمكن أن تدرس فى كليات القانون وتروى كواحدة من الغرائب التى عاصرتها وعشتها وقد بدأت عندما اشترى صديقى وزوجته شقة جديدة فى عام ١٩٧٣ عندما كان سعر أحسن شقة فى ذلك الوقت لايتجاوز عشرة آلاف جنيه. وكانت لحظة من أسعد لحظات حياة الصديق وزوجته عندما وضع العقد الابتدائى فى جيبه. ولما كانت الشقة تحت البناء والتشطيب فقد انتظرا حتى أصبح لها باب ومفتاح وقاما بتسلمها والبدء فى إجراءات تسجيل الملكية، ومثل أغلب الزوجات طلبت الزوجة من صديقى أن يسجل الشقة باسمها وأن تكتب له نظير ذلك عقد إيجار.. وبالفعل قام الصديق بتسجيل الشقة باسم زوجته بعد أن سدد عنها الثمن فلم تكن العلاقة بين الاثنين سوى محبة خالصة وتعهد غير مكتوب على الإخلاص والوفاء والارتباط الأبدى..

وكانت مفاجأة كئيبة عندما عرف صاحبى أن حكما صدر لصالح أحد الأشخاص ولنسميه «مصطفى» ضد البائع ولنسميه «حسن» يسمح

لمصطفى بوضع يده وامتلاك الشقة التى اشتراها صاحبى وسجلها باسم زوجته!

كيف؟

واتصل صديقى بأحد زملائه فى الجامعة ممن أصبح لهم شأن فى القضاء فقال له الزميل إن السر كله لابد يكمن فى الشهر العقارى الذى سجل الشقة باسم زوجته، فكيف يقوم مكتب الشهر بتسجيل الشقة إذا كان عليها النزاع. وذهب صديقى إلى إدارة الشهر العقارى ليكتشف ماهو أعجب.. وهو أن مصطفى الذى أصبح ينازعه فى الشقة سبق له من سنوات أن حرر عقدا ابتدائيا مع المالك حسن على شراء الشقة وسدد مقدما لها ألف جنيه وبعد ذلك فإنه قرر عدم المضى فى إجراءات الشراء وسداد باقى الثمن.. ومن ناحيته لم يقم المالك حسن بتسليمه الآلف جنيه التى دفعها ولعله طمع فيها..وقام حسن بتوقيع العقد الجديد مع صاحبى.. ولكن بعد سنتين اثنتين كانت أسعار الشقق فى مصر قد تضاعفت أضعافا وأضعافا مما آثار مطامع مصطفى فعاد إلى المالك يطالبه بالشقة.. وتحقيقا لمطامعه أقام دعوى صحة ونفاذ قام بتسجيلها فى الشهر العقارى.. وبطريقة ما استطاع مصطفى أن يتفق مع محامى حسن ويحصل على حكم ابتدائى بالصحة والنفاذ وقد تأيد أمام محكمة الاستئناف وأصبح بذلك نهائيا وعلى البائع أن يسلم..

ولما كان تاريخ تسجيل صحيفة دعوى مصطفى يسبق تاريخ تسجيل ملكية الشقة لزوجة صديقى أصبح مصطفى بذلك سابقا فى الشراء ويحق له تسلم الشقة، وهكذا فإنه ذهب إلى الشهر العقارى لتسجيل الحكم حتى يمكن تنفيذه ولكن رجلا مخلصا فى عمله اكتشف شيئا صغيرا جدا حال بين مصطفى وبين تسجيل الحكم كانت المفاجأة أن بائع الشقة قد كتب

أن العقد قد تم بين حسن وبصفته وليا .. طبيعيا على أولاده ووكيلا قانونيا عن زوجته وعندما أقام مصطفى دعوى صحة ونفاذ ورغم المؤامرات التى دبرها مع محامى البائع فإنه أمام الدعوى ضد حسن بصفته وليا طبيعيا ووكيلا عن زوجته متناسيا حرف «الواو» الذى بعد اسم حسن، وهكذا فإنه عندما ذهب مصطفى لتسجيل الحكم فى الشهر العقارى اكتشف سقوط حرف الواو موظف أمين يرعى الله ويرعى حقوق الناس وأبلغ مصطفى أن هناك سيدة مشترية قامت بشراء الشقة من حسن وبصفته وليا طبيعيا على أولاده ووكيلا عن زوجته وأن هذا يعنى أن هناك ثلاثة ملاك للشقة اشترت منهم الزوجة الشقة، أما مصطفى فإنه بمقتضى الحكم الذى صدر له فإنه اشترى نصيب اثنين فقط من الملاك هما نصيب الأولاد ونصيب زوجة البائع، أما نصيب البائع حسن عن نفسه فلم يتضمنه الحكم ولا صحيفة دعوى صحة ونفاذ، وهكذا فإن مصطفى إذا أراد تسجيل الحكم فإن الحكم يقتصر على نصيب أولاد حسن وزوجته فى الشقة، أما ما يمتلكه حسن فقد أصبح ملكا لزوجة صديقى وذلك بسبب حرف «الواو» الذى سقط من صحيفة الدعوى..

لم يصدق مصطفى وحاول مع الشهر العقارى لكن رئيس المأمورية النزيه الشريف رفض كل الضغوط. ولما كان حسن يمتلك كامل حق الانتفاع بالشقة أصبحت ملكية مصطفى مقصورة فقط على ملكية الرقبة دون حق الانتفاع!

هل فيكم من سمع بهذا؟

مشتر يشترى ملكية شقة دون أن يشترى حق الانتفاع بها؟ كان الأمر بالغ الغرابة ولكنه كان تطبيقا للآية الكريمة «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»..

ومن يومها. منذ عام ٧٥ بدأ صديقى يعرف طريقه إلى المحاكم من خلال عديد القضايا والدعاوى التى أقامها والتى أقامها خصمه مصطفى ضده.. استشكال لتنفيذ الحكم خسره واستئناف لإستشكال التنفيذ كسبه .. دعوى حراسة كسبها الخصم بتعيين نفسه حارساً ودعوى إستئناف كسبها صديقى أصبح هو الحارس على الشقة.. وكانت هناك بعد ذلك عديد من القضايا: ودعاوى تثبت الملكية من الطرفين، ودعاوى بطلان من الطرفين وكل ذلك على مختلف درجات التقاضى من الابتدائى إلى الاستئناف إلى النقض.. وفى مرة أقام صديقى استئنافا ولكنه فوجئ بخصمه يحضر فى أول جلسة ويتهم صديقى بتزوير إعلانات الاستئناف الذى أقامه. واكتشف صديقى أن الخصم ذهب إلى موظف لدى المحامى الذى كان يتولى الدفاع عن صديقى واتفق معه على عدم قيامه بإعلان صحيفة الاستئناف والتأشير بالتزوير لإيهام المحامى الذى يعمل عنده بأنه قام بإعلان الصحيفة وفى مثل هذه الحالات فإن الذى أقام الدعوى صديقى وليس المحامى وبهذا يصبح متهما بالتزوير الذى عقوبته السجن .. وهكذا وجد صديقى نفسه متهما فى قضية تزوير عليه أن يدافع عن نفسه فيها بدلا من أن يدافع عن موضوع الاستئناف الذى أقامه.. وسقط الاستئناف بسبب انتهاء المدة ونجح الصديق فى الحصول على البراءة فى دعوى التزوير.

ونقل صديقى إلى مكان عمل جديد تولى فيه الرئاسة وكان أول طلب وقعه فى منصبه الجديد الذى نقل إليه طلب استقالة أحد العاملين فى الشئون القانونية بالمؤسسة التى انتقل إليها.. ووافق على الطلب.. وكانت موافقته على هذه الاستقالة هى أول قرار يوقعه وقد اكتشف فيما بعد أن صاحب الطلب المستقيل هو نفسه الموظف الذى كان يعمل فى مكتب المحامى والذى قام بتزوير أوراق صحيفة الاستئناف وقد تصور الموظف أن

صديقى لابد وأن ينتقم منه وهو مالم يخطر على بال الصديق وإن كان قد أبلغ بعد سنتين بأن هذا الموظف قد تم القبض عليه وسجنه لأنه اشترك فى عملية تقريبا مماثلة تم كشفها .

واستمر صراع صديقى أمام المحاكم.. ٢٠ سنة مستمرة.. ماتت فيها زوجة الصديق ومات البائع حسن ومات محامى الخصم مصطفى، ومات بعد ذلك الخصم مصطفى وقبل شهرين حكم القضاء الاستئنافى بأن تكون الملكية لمصطفى والحيازة لصديقى باعتباره مستأجرا من زوجته فقد كان عقد الإيجار الذى عقده بسلامة نية مع زوجته والثابت تاريخه قبل تسجيل صحيفة الدعوى هو السد العالى الذى لم يستطع خصم صديقى أن يجتازه.. ٢٠ سنة أمام المحاكم دفاعا عن حقه رفى كل دعوى وكل حكم كان صديقى يعيش أياما طويلة مع القلق والكآبة.. صحيح أن الله أنصفه يوم سقطت «الواو» من صحيفة الدعوى ولولا سقوط حرف «الواو» لكانت الشقة قد انتقلت إلى يد الخصم.. وصحيح أن الحق معه والله شاهد على ذلك، ولكنه كصاحب حق كان أكثر الأطراف قلقا وسهرا وهما..

فهكذا أصحاب الحقوق..

ولولا أن صديقى الذى أشرت إليه هو نفسه أنا شخصيا لما عرفت حجم القلق الذى يعانيه صاحب الحق عندما يجد نفسه أمام القضاء معرضا لخطأ بشرى نعم أنا هو هذا الصديق الذى له ٢٠ سنة أمام المحاكم الابتدائية والاستئنافية والعاجل والنقض ورغم أننى درست القانون وحصلت على ليسانس الحقوق إلا أننى لم أعرف القانون إلا من خلال هذه القضايا التى وجدت نفسى طرفا فيها.. عرفت ماهى صحيفة الدعوى وماهى الطلبات والأحكام والحيثيات والإعلانات ودعاوى البطلان والملكية والتزوير والحراسة

والاستشكالات .. نعم كانت للتجربة فائدتها .. ولكن بأى ثمن دفعته من أعصابى ونفسى وهموم زوجتى الراحلة التى حرمت من امتلاك شقة فى الدنيا ولابد أن الله قد عوضها بقصر فى الجنة سددت قيمته أخلاقا وعفة وطهارة وصبرا صامتا على تحمل الام المرض..

ملحوظة : رغم انشغالى ٢٠ سنة بهموم هذه القضية إلا أنها أول مرة أشير إليها وأكتب عنها.

موسكو بعد ٣٠ سنة

تغيرت موسكو التى زرتها لأول مرة فى عام ١٩٦٦ لم تعد عاصمة الامبراطورية الكبيرة التى يخشاها العالم. ولا دولة الاشتراكية التى ليس فيها مسئول واحد أو امرأة واحدة تبيع نفسها مقابل الثمن.. موسكو ٩٥ ليس فيها من موسكو ٦٦ سوى البولشوى الشهير والسيرك الذى ما زال يعتبر أحسن سيرك فى كل العالم والشوارع الواسعة العريضة ومساحات الخضرة الواسعة والوفيرة أما ما عدا ذلك فيبدو أن كل شيء قد تغير... إلى الأسوأ أم إلى الأحسن؟ سئلت هذا السؤال كثيرا فور عودتى وكان ردى أن ما يحدث الآن فى موسكوهو مرحلة انتقالية.. لقد كان هناك على امتداد نحو ٧٠ سنة من ١٩١٨ إلى ١٩٨٨ نظام معين وقد انهار هذا النظام وأصبح مكانه ما يمكن أن نسميه «لانظام».

وهذا اللانظام هو الذى تعيشه حاليا موسكو وكل الدول الأخرى المتساقطة من امبراطورية الاتحاد السوفيتى.

وعندما وضعت قدمى لأول مرة فى عاصمة هذه الامبراطوية وكان ذلك فى أكتوبر ١٩٦٦ انبهرت ولم تكن زيارتى الأولى لموسكو مقصودة بل كانت مصادفة. فقد قبلت دعوة لزيارة كوريا الشمالية ضمن وفد من ثلاثة

صحفيين ضم الأستاذ محمد مصطفى غنيم رئيس القسم الخارجى فى صحيفة الأخبار فى ذلك الوقت. والمرحوم إبراهيم حسن المحرر بوكالة انباء الشرق الأوسط، وأنا.

ولكننا خططنا لاستغلال هذه الرحلة في زيارة دول أخرى وإن تكون موسكو فى رحلة الذهاب وبكين في رحلة العودة.. ولم نتمكن من الحصول على فيزا دخول موسكو أو بكين ولكننا بحكم السن الصغير الذى كنا فيه من ٣٠ سنة قررنا دخول المغامرة. ووصلنا موسكو ليلا ونحن مطمئنون إلى أنهم سيحسنون استقبالنا، فقد كانت العلاقات مع القاهرة فى قمتها بعد أن تم تنفيذ مشروع السد العالى بمساعدة السوفييت.. وكانت مواعيد الطائرات في ذلك الوقت تحكم علينا أن نبقى يومين فى موسكو حتى يأتى موعد الطائرة المتجهة من موسكو إلى بيونج يانج عاصمة كوريا الشمالية. وبدلا من الترحيب الذى كنا نتوقع أن نستقبل به عند وصولنا إلى مطار موسكو باعتبارنا من أبناء المحروسة الصديقة مصر فإنهم احتجزونا وقادونا إلى بدروم المطار وأدخلونا غرفة.. ومن أول لحظة بدأنا نشم رائحة هيبة الدولة ودكتاتوريتها.. وجاءنا واحد وخرج والثانى وخرج ثالث ورابع وجميعهم كانوا يتكلمون الروسية التى لم نكن نعرف منها سوى كلمتى خروشوف الرئيس السوفيتى فى ذلك الوقت وخراشو أى حسنا. ولكن الموقف لم يستدع أن نستخدم كلمة خراشو أبدا.. وفهمنا أنهم يرتبون لبياتنا فى هذه الغرفة ويقومون بترحيلنا فى صباح اليوم التالى إلى القاهرة.. وكان معنى ذلك أن «تبوظ» كل الرحلة التى نقوم بها.. وبعد إشارات بالأيدى والعيون وكلمات متفرقة من الإنجليزية والفرنسية والألمانية بدأ لنا أنهم توصلوا إلى حل إحتجازنا مسافة اليومين اللذين سنمضيهما فى المطار.. .. ولكن كما يحدث فى الحواديت انشقت الأرض عن شاب مصرى من

النوع الجدع والشهم و«السالك» مع السوفييت فقد كان يعرف اللغة الروسية وكان يعمل فى السفارة السوفيتية في عمل متعلق بمنظمة الشباب، وجاءنا هذا الشاب المصرى الجدع لينقذنا من السجن الذى كنا سنبيت فيه الليلتين وقد نجح فى استخراج تصاريح مؤقتة لدخولنا وأخذنا فى سيارته ليلا إلى أحد الفنادق وقد أكتشفنا أن قبول أى فندق لأى نزيل ليس أمرا سهلا.. حتى على الروس. ولم يكن الروسى أو المواطن السوفيتى الذى يعيش خارج موسكو يستطيع أن يأتى إلى موسكو إلا إذا حصل على تصريح بذلك ـ كما أنه لم يكن ممكنا على الذين يعيشون فى موسكو أن يتجاوزوا دائرة المدينة أو يستقلوا طائرة الا بتصريح.. كانت الدولة فى ذلك الوقت وحتى عام ٩٠ دولة منضبطة كل شيء فيها خاضع لرقابة الدولة، وكل شيء فيها ملك الدولة: المحلات والسيارات والبيوت والمزارع والمصانع وعربات الأيس كريم التى يدمنها المواطن.. كل شيء ملك الدولة.. وكل سلعة تباع فى أى مكان فى داخل هذه الامبراطورية الواسعة التى تقطعها الطائرة من الشرق إلى الغرب فى ١١ ساعة تباع سعر موحد..

وفى صباح اليوم التالى كان الشاب المصرى الجدع والشهم كريما معنا عندما وجدناه يطب علينا ويصحبنا فى سيارة يقودها إلى معالم موسكو.. وقد أكتشفنا أن وجودنا فى سيارة داخل موسكو يعتبر حدثا.. فقد كان عدد السيارات فى الشوارع محدودا.. وباستثناء سيارات السفارات وكانت باقى السيارات ملكا للدولة، كانت سيارات كبار رجال الحزب مميزة بلونها الأسود وستائرها السوداء التى تخفى ركابها. وبهرتنى المدينة لدرجة تصورت معها أن موسكو هى أكبر مدينة فى كل العالم.. وعندما وصلت إلى الميدان الأحمر انتابتنى مشاعر الرهبة فقد كنت أمام هيبة دولة عظمى.. ورحت أنظر إلى كل شيء حولى وأنا مثل أى فلاح قادم من أعماق الريف وجد

نفسه فجأة فى أنوار العاصمة.. سور الكرملين العظيم الأحمر.. ومقبرة لينين.. والطوابير الطويلة الواقفة فى انتظار أن يلقى أصحابها نظرة على لينين، والكنيسة المميزة التى تتوسط جانب الميدان بقبابها المذهبة اللامعة ثم محل الجوم الشهير الذى يمتد بطول ميدان الكرملين.. أكبر محل فى العالم.. وهو عبارة عن ثلاثة شوارع مغطاة وثلاثة طوابق يعلوكل منها الآخر وصفوف من المحلات التى تبيع كل شىء اعتبارا من قطعة "الأيس كريم إلى الثلاجة-وماكينة الخياطة.. وكان كل محل مليئا بالطوابير وكل السلع من إنتاج الاتحاد السوفيتي. ليست هناك سلعة واحدة تم إنتاجها خارج الاتحاد السوفيتي.. وكانت الأسعار تبدو بالنسبة لنا ملاليم وقد عرفت لأول مرة أن هناك ما يسمى سوق سوداء يتم فيه تغيير الدولار بثلاثة أضعاف سعره الرسمي.. وقام الشاب المصرى الشهم الذى بفضله دخلنا موسكو وتفرجنا عليها بعملية التغيير التى جعلتنا نشترى السلعة بثلث الثمن الذى يدفعه الروس..

وفيما بعد زرت موسكو أكثر من مرة.. فى الأعوام ٦٩ و٧٢ و٩٠. وازدادت معرفتى بموسكووبالحياة فيها وكانت لى معها حكايات مختلفة.. وقد ظلت الصورة فى موسكو بلا تغيير حتى زيارة عام ١٩٩٠ وكنت ضمن الوفد الصحفى المسافر فى صحبة الرئيس حسنى مبارك.. وفى هذه الزيارة كانت ملامح التغيير قد بدأت فى موسكو.. كان جورباتشوف قد صار له خمس سنوات فى الحكم وقد بدأ ما أسماه «البورستوريكا» أى التغيير.. وكانت العلاقات بين مصر وموسكو قد أصابها الجمود منذ أعلن أنور السادات قراره بإنهاء مهمة أكثر من ١٥ ألف خبير سوفيتى كانوا موجودين فى مصر، وقد كان من حظى أن سافرت إلى موسكو يوم ١٣ يوليو ١٩٧٢ مع الدكتور عزيز صدقى رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت

واللواء أحمد إسماعيل رئيس المخابرات وكانت مهمة الدكتور عزيز صدقى هى محاولة الاتفاق مع القادة السوفييت على إصدار بيان مشترك بين القاهرة وموسكو يعلنان فيه اتفاقهما الودى على إنهاء عمل السوفييت فى مصر. وبعد أن كانوا يستقبلونا بالكافيار وأفخر أنواع الأطعمة والمشروبات فوجئنا بأسوأ أنواع الأطعمة والماء الذى له رائحة العفن.. ورفض السوفييت إصدار البيان وعدنا إلى القاهرة فى اليوم التالى لتفاجىء مصر الدنيا بالقرار الذى اتخذه أنور السادات.

ومنذ ذلك الوقت انقطعت زيارات القمة التى كانت تحدث على الأقل مرة كل سنة إلى موسكو. وجاء الرئيس مبارك ليعيد فتح كل القنوات.. وعندما جلسنا إلى العشاء الذى دعا الرئيس جورباتشوف ضيفه مبارك إليه وكان إلى جوارى الصديق الأستاذ أنيس منصور لفت نظره إلى قائمة الطعام وكان مطبوعا عليها فى مساحة صغيرة علم جمهورية مصر العربية أو هذا هو المفروض.. ولكن بسبب طول الفترة التى لم يزرهم فيها رئيس مصرى فإنهم وضعوا بالخطأ علم الجمهورية العراقية بدلا من علم الجمهورية المصرية. ولم يكن فى إستطاعتى أن أفعل شيئا يتجاوز لفت نظر أنيس منصور إلى هذه الغلطة!

ولكن ملامح التغيير كانت قد بدأت تظهر فى هذه الزيارة.. وكان أول هذه الملامح ظهور بنات الهوى الروسيات فى الفنادق.. وهى ظاهرة لم تكن موجودة فى روسيا من قبل. ولم يكن معنى ذلك أن الاتحاد السوفيتى لم يكن يعرف من قبل العلاقات غير المشروعة، فلقد كان مشهورا عن المجتمع السوفيتى أنه مجتمع مفتوح لا يضع قيودا مشددة لعلاقاته وإن ممارسة الجنس فيه سهل وميسور ولكن كانت كل هذه العلاقات تتم حبا فى الجنس والعاطفة ودون أى مقابل أو ثمن.. لأنه لم تكن هناك دواعى

حاجة المرأة أو البيت الروسى إلى الحصول على أموال زائدة عن التى يتقاضاها.. فإيجار البيرت لا يتجاوز خمس ربلات فى الشهر والتليفونات والكهرباء والمياة مجانا ووسائل المواصلات تكاد تكون مجانا والطعام الموجود وهو محدود ونوعياته رديئة ولكنه كان رخيصا. ولم يكن الروسى يمتلك أكثر من بدلتين ولا تملك الفتاة أكثر من ثلاثة فساتين..وكان مظهر النعمة الزائدة على أى مواطن خارج مجموعة القيادية الحاكمة وصفوة الحزب المميزة يثير القيل والقال وسؤال صاحبه ولهذا اقيمت علاقات عديدة بين الجنسين مشروعة وغير مشروعة ولكن بدون ثمن.. أما بعد الروستوريكا والانفتاح واستيراد السلع وتخفيف قيود رقابة الدولة فقد بدأت الحاجة إلى الفلوس.. وبدأت حاجه الفتاة الروسية إلى أن تلبس وتملأ دولابها بالفساتين وأدوات الماكياج والمجوهرات. وأصبح طبيعيا فى مجتمع انفتح هو الأخر على السياح القادمين للفرجة عليه أن يكون للجنس تجارة.. وقد زادت هذه التجارة كثيرا عندما زرت موسكو فى يونيو ٩٥ ..وقيل لى أن الإقامة فى أى فندق كان في مدينة بيترستراسبورج فى فندق استوريا أشهر فنادق المدينة وله إجراءات أمنية خاصة تمنع وصول هذا النوع من الذى أصبح موجودا بكثرة فى الفنادق الأخرى.. وهو نوع لم يكتف بموسكوبل جرى تصديره إلى خارج دول الاتحاد السوفيتى ليمثل أول سلعة يستخدمها العالم من الانتاج الروسى.

●●●

وفى زيارتى السابقة سنة ٩٠ كانت ملامح التغيير قد ظهرت فى شكل البرنامج الذى تم اعداده لزيارة الرئيس مبارك . فمن قبل كانت زيارة أى رئيس تقتصر على لقاء القادة المسئولين فى الكرملين. أما فى تلك الزيارة عام ٩٠ فلأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى يحدث أن يزور موسكو رئيس

دولة أجنبية ويتضمن برنامجه. كما حدث مع الرئيس مبارك فى ذلك الوقت ـ الاجتماع مع أعضاء مجلس السوفييت الأعلى وكان قد جرى انتخابه قبل شهر واحد من الزيارة، والاجتماع مع مفكرى ومثقفى وأدباء الاتحاد السوفيتى..

كانت الامبراطورية السوفيتية حتى ذلك الوقت مازلت موجودة أسما، ولكن فعلا كانت رياح التغيير قد هاجمتها وقد تصور جورباتشوف أن النظرة الشيوعية قادرة على امتصاص هذا التغيير وهو ما لم يحدث.. ففور أن أمتدت الأصابع إلى النظرية الشيوعية تحاول إصلاحها أنهارت كل النظرية وتفككت وتبعثرت قطع الامبراطورية التى كانت هذه النظرة تحقق تماسكها.. لقد انهارت امبراطورية من أقوى امبراطوريات التاريخ دون إطلاق رصاصة واحدة عليها.. ودون أن تغزوها دولة أخرى أو تتعرض لهزيمة كبرى.. ذلك أن هذه الإمبراطورية قامت على أساس نظرية معينة فلما انهارت هذه النظرية انهارت الأمبراطورية أيضا وبدأت مرحلة الانتقال الجديدة التى ذهبت اراها فى يونيو ٩٥.

وفى روسيا صادروا كل أموالى!

فى خلال نحو ٣٠ سنة زرت موسكو ٦ مرات كانت أولها عام ٦٦ وقد وصلت إليها بدون فيزا دخول وأنقذنا شاب مصرى شهم كان مبعوثا للتدرب على عمل منظمات الشباب وقد انبهرت فى هذه الزيارة بموسكو واعتبرتها أكبر مدينة فى العالم.. وفى عام ٦٩ زرت موسكو للمرة الثانية مرافقا للدكتور عزيز صدقى الذى كان وزيرا للصناعة وكان للاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت دور مهم فى مساعدة مصر فى إقامة عدد من المشروعات الصناعية. كان استقبال الروس لنا فى المطار حافلا ومن عل سلم الطائرة فقد كان الدكتور عزيز صدقى على علاقة طيبة بالسوفييت كما كانت العلاقات بين موسكو والقاهرة فى ذلك الوقت قد أخذت ابعادا واسعة بعد أن أصبح الاعتماد عليها كبيرا فى إعادة تسليح القوات المسلحة المصرية وتعويض ما فقدناه فى هزيمة ٦٧ مما جعل موسكو الصديق الأول للقاهرة ولهذا كانت إجراءات خروجنا من المطار سريعة على عكس المرة الأولى التى وصلت فيها إلى موسكو عام ٦٦ .

وعل موائد الغداء والعشاء التى كانت مخصصة للوفد المصرى والتى تميزها أعلام مصر المرفوعة فوق هذه الموائد كان الكرم السوفيتى واضحا فى

تلبية كل ما نطلبه من كافيار ومياه معدنية خاصة ولحوم مميزة وهى امتيازات لا يعرف قدرها إلا من زار موسكو وعرف مستوى الطعام الذى يتناوله الروسى العادى والدرجات المختلفة فى معاملة ضيوف موسكو. وقد عرفت أسوأ أنواع التعامل عندما زرت موسكو للمرة الثالثة فى ١٣ يوليو ١٩٧٢ وكنت أيضا فى صحبة الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ولكن كانت المهمة التى سافر من أجلها عزيز صدقى هى محاولة الاتفاق مع السوفييت على إصدار بيان مشترك يتم فيه إنهاء وجود نحو ١٥ ألف خبير سوفيتى قرر الرئيس الراحل أنور السادات إنهاء عملهم إحتجاجا على موقف الاتحاد السوفيتى واتفاقه مع الولايات المتحدة على تجميد الموقف فى الشرق الأوسط وتطبيق ما أطلق عليه «استرخاء سياسى». ولكن القادة السوفيت وقد حضروا جميعا بربطة المعلم اجتماع عزيز صدقى رفضوا وبشدة المعاونة فى إصدار هذا البيان وليصدره أنور السادات وحده وليقل فيه ما يريد..

وكان جزاؤنا نحن الوفد المرافق للدكتور عزيز صدقى أن تم تخفيض درجة التعامل معنا فلم نشم رائحة الكافيار ولم نر قطع اللحم أو زجاجة مياه معدنية بل قدموا لنا الطعام العادى الذى يقدم للمواطن السوفيتى وهو عبارة عن طبق شربة مليئة بالكرنب يتوسطها قطعة من العظم الذى تشم رائحته من باب المطعم./. وزاد من مرارة الزيارة الرطوبة البالغة التى شهدتها موسكو فى هذا اليوم وسوء الغرف التى تم حشرنا فيها والتى لا يعرف الهواء طريقه إليها!

فى زيارة صيف ٦٩ كان لكل واحد فينا شبه شقة عبارة عن صالون وغرفة مكتب وغرفة نوم وثلاثة حمامات... وكنت وحدى فى هذه الشقة

أبدو كالتائه وقد حرصت على وضع حاجياتى فى شنطة السفر التى حملتها من القاهرة حتى لا تتبعثر فى المساحات الواسعة.

كان قد سبق رحلتى إلى موسكو اعداد برنامج كنت سأزور بمقتضاه براج عاصمة تشيكوسلوفاكيا وكانت الحكومة التشيكية قد وجهت لى الدعوة لتمضية أسبوع ومن تشيكوسلوفاكيا أطير إلى فرانكفورت حيث كان التخطيط أن أشترى سيارة أوبل موديل ٦٥ أشحنها إلى القاهرة وبدلا من السيارة الفولكس التى كنت استعملها فى ذلك الوقت.

وبحسب البرنامج كان المفترض أن أمضى فى موسكو عشرة أيام قبل أن يأتى يوم بداية الدعوة التى تلقيتها من تشيكوسلوفاكيا وقد شعرت بعد خمسة أيام من الزيارة أن الرحلة قد حققت غرضها وبدأت أفتش عن شيء أفعله فاقترح على أحد أفراد الوفد السفر إلى بولندا وتمضية أربعة أو خمسة أيام ومنها إلى براج. وقامت السفارة المصرية بمساعدتى فى استخراج فيزا بولندا وفى استخراج تذاكر السفر من موسكو إلى وارسو بالقطار ومن وارسو إلى براج بالطائرة وبسبب السوق السوداء أو الحرة التى كنا نغير فيها الدولار بأربعة روبلات فى الوقت الذى كانت قيمة الدولار الرسمية تسعة أعشار الروبل فإن أسعار تذاكر السفر كانت رخيصة.

وهكذا وجدت نفسى أركب القطار من موسكو إلى وارسو وقد كانت تجربة جديدة أن أسافر بالقطار ١٩ ساعة ولكن كان يخفف من ذلك اننى كنت أسافر فى غرفة نوم خاصة بها سرير وتواليت ومكتب صغير فماذا أريد أكثر من ذلك؟

كان كل شيء يبدو جميلا وسهلا ومريحا فالساعات أخذت تمضى والفرجة من القطار مسلية وقد تعرفت على جارة لى كندية، وبعد نحو عشر ساعات وصلنا إلى الحدود البولندية.. وعند الحدود جرى ما لم أكن أتوقعه

سمعت طرقا على الباب وفتحت لأجد عملاقا سوفيتيا يسألني باللغة الروسية التى لم أكن أعرف منها سوى كلمة خراشو أى حسنا.. ولم أفهم من الرجل شيئا.. لكنه لم يضيع وقته فقد كن واضحا تماما أنه يعرف هدفه جيدا.. وقد وجدته يتجه إلى حقيبة ملابسى ويفتحها، ثم بيد تعرف جيدا طريقها اتجه بصابعه مباشرة إلى أحد أركان الحقيبة وأخرج منها حقيبة أوراق صغيرة كان فى داخلها مجموعة أوراق ونشرات سياحية ولكن الأهم من ذلك بالنسبة لي وبالنسبة للرجل ٧٥٠ دولار كنت قد خشيت أن أحتفظ بها في محفظتى أو فى جيبى خوفا من النشل أو الضياع فهذا مبلغ كبير جدا، وقد استأمنت أن أحفظها في الحقيبة طوال فترة بقائى فى موسكو وفقى كل يوم كنت اطمئن على الأوراق والنقود وأجدها سليمة ولم أعرف إلا فيما بعد أنها كانت مثل كل شىء فى الاتحاد السوفيتى مرصودة بل ومفرورزة وها هو موظف الجمارك كما عرفت يعرف بالتفصيل ما فى الشنطة والحقيبة الصغيرة التى فيها الأوراق والنقود ويخرج النقود من وسط الأوراق.

عاد الرجل بعد أن أمسك بالنقود فى يده يسألنى بروسيته التى لم أعرف منها كلمة وإن كنت فهمت المعنى..

وكما أتضح لى فقد كان على عند دخولى إلى مطار موسكو يوم وصولى أن أسجل كل ما معى من نقود على استمارة خاصة اختمها من موظف المطار. وكان ضروريا إذا كنت قد وصلت بالطريق العادى أن أفعل ذلك لكننا فى غمرة الترحيب والحفاوة التى تم بهما استقبال الوفد الرسمى الذى كنت فيه لم تسمح الظروف لواحد منا أن يكتب الاقرار الخاص بما يحمله من مال. وزاد من أزمتى أننى تركت الفلوس فى داخل حقيبة

صغيرة أودعتها شنطة سفرى طلبا للأمان وعدم الضياع فى الوقت الذى كانت الأيدى الخفية تفتش وربما تصور.

هكذا وجدت نفسي في آخر روسيا على مسافة عشر ساعات من موسكو وكل الذين جاءونى من الموظفين يتحدثون الروسية وقد راحوا ينظرون لى بعد أن طلبوا منى مغادرة القطار والذهاب معهم. وقد بدا لى هذا الاجراء أسوأ من أ خذ أموالى فما الذى سوف يفعلونه معى، وماذا تقول قوانينهم وهل الحكاية فيها سجن؟

في داخل الحجرة التي وقفت فيها جلس الموظف العملاق يكتب ما فهمت أنه محضر وقد سألني بعد أن أنتهى ما يفهم منه هل أحمل نقودا أخرى. وكان فى بنطلونى الذى ارتديه جيب صغير وضعت فى داخله عشرة دنانير كويتية وثلاثة أوراق فئة عشرة دولارات أمريكية خفت من نظرة الرجل فمددت يدى إلى جيبى أخرج ما فيها من نقود وكان من حسن حظى أن أخرجت ورقة الدنانير العشرة الكويتية وفردتها للرجل الذى كان واضحا أنه لم يشهد مثلها من قبل أو لعله تصور إنها من نفس نوع الأوراق المالية السوفيتية التى لا قيمة لها فأشار لى بما معناه: بلها وأشرب ميتها!

راحت أموالى التى أخذوها.. وكان على أن أنتظر خمس ساعات حتى أستقل القطار التالى مستخدما نفس تذكرة القطار الذى انزلونى منه.. وقد وجدت نفسى محسورا فى ديوان به سبعة ركاب أخرين بعد أن كان لى ديوانى الخاص وسريرى ودورة مياه.

فى المشاكل التى تواجهنى تعلمت درسا هاما وهو أن أواجه المشكلة وأن أحاول ترتيب أفكارى كما لو كنت فى حرب وخسرت معركة وعلى مواصلة القتال ولا أموت. ولكى أفعل ذلك تعودت فى مثل هذه المواقف أن

أحصر كل المشاكل الناتجة عن الموقف الذى وصلت إليه وأحاول حل كل مشكلة واحدة بعد الأخرى. وهكذا فإن المشكلة الأولى التى ظهرت أمامى كانت الخروج من نقطة الحدود الروسية والعبور إلى بولندا ثم إلى وارسو.

وانتهت المشكلة الأولى وبدأت فى القطار أفكر فى المشكلة الثانية. ماذا سوف أفعل فى وارسو خلال خمسة أيام وكل معلوماتى عنها لا يتجاوز اسم فندق الجراند أوتيل الذى قمت من موسكو بالحجز فيه والذى يعتبر من أكبر فنادق وارسو وكل الذى املكه هو ٣٠ دولارا وعشرة دنانير كويتية.

ولما كان موعد الوصول هو التاسعة مساء فقد قررت أن أذهب إلى الجراند أوتيل مباشرة وأمضى على الأقل الليلة والصباح له عيون.

وتذكرت معلوماتى التى سمعتها عن بولندا من الذين زاروها وقد توقفت أمام تغيير الدولار فى السوق السوداء.. إن قيمة الدولار الرسمية ١٦ زلوتى (عملة بولندا). أما فى السوق السوداء فيصل إلى ١٢٠ زلوتى. وقررت أن اقصر تعاملى مع السوق السوداء. وإلى سائق أول تاكسى التقيت به بعد خروجى من المحطة طلبت إليه أن يذهب بى إلى الجراند أوتيل. وسألت عن حسابه فقال: ٤٥ زلوتى وبدون تردد دخلت الفندق وأعلنت أسمى ووجود حجز لى وطلبت من موظف الفندق إعطائى خمسين زلوتى أعطيتها لسائق التاكسى وهكذا بدلا من أن أدفع له ثلاثة دولارات أعطيته ــ بحساب السوق السوداء ــ أقل من نصف دولار.

وبدأت أواجه مشكلتى فى اليوم التالى. تعرفت بمبعوث مصرى يدرس الموسيقى فى وارسو وقد ساعدنى مساعدة كبيرة فى اللغة البولندية التى يتكلمها وسهل على عملية سداد فاتورة الفندق بالزولوتى بدلا من الدولار على أساس أننى موظف بالسفارة المصرية وبعد أن وضع فى جيب موظف

الفندق ٢٠٠ زلوتي.. وكان من حسن حظي أنني التقيت بزائر لبناني كان في طريقه إلى بيروت... وتطرق بنا الحديث إلى الفلوس.. ومددت يدي إلى جيبي وأخرجت العشرة دنانير الكويتية وقد مثلت دور الذي أخرجها من جيبه مصادفة.. وعرض على اللبناني أن يشتريها.. وبعد لحظات من التردد الكاذب وافقت وقلبي يخفق بسرعة فقد خشيت أن يصدق ترددي. وتمت الصفقة وأمضيت الأيام الخمسة في وارسو دون أن أغير من برنامجي، فلقد استطاعت السوق السوداء أن تسد حاجتي.

ولكني لم أنس بعد كل هذه السنوات نظرة موظف الجمرك الذي اقتحم ديواني في القطار وأخرج الفلوس من مكانها في الشنطة ربما أسرع مني أنا الذي وضعتها: وهكذا راحت فلوسي التي كنت أنوي أن أشتري بـ ٦٠٠ دولار منها سيارة من المانيا.. ضاعت السيارة وضاعت الفلوس ولكن أنقذتني عشرة دنانير كويتية وثلاثون دولارا والسوق السوداء.. وتعلمت ألا أدخل بلدا شيوعيا أو اشتراكيا أو أي بلد آخر دون أن أعرف تعليماته بالنسبة للفلوس.. وان أسجل كل مليم أحمله إذا أقتضت التعليمات ذلك..

أين تذهب أوراق الإجابات بعد التصحيح

حتى قبل ٥٠ سنة تقريبا لم يكن معروفا فى الصحافة المصرية فن التحقيق الصحفى... كان المشهور عن الصحفى أنه «جرنالجى» يكتب الاخبار أو أنه يكتب المقالات... ولكن الشاب محمد حسنين هيكل الذى ظهر اسمه لأول مرة فى الصحف فى الاربعينيات بدأ يكتب لونا جديدا.... لا هو خبر ولا هو مقال... وأصبح هذا اللون معروفا باسم التحقيق الصحفى. وقد استهوانى هذا اللون وكان أول شكل أمارسه فى الصحافة عندما بدأت فى يناير ٣٥ فى مجلة الجيل الجديد التى كانت تصدرها دار اخبار اليوم ثم بعد ثلاثة شهور فقط فى مجلة آخر ساعة والتى كان يرأسها الأستاذ هيكل.

والتحقيق الصحفى هو كل الفنون الصحفية معا: الخبر والمقال والقصة فلابد لمن يكتب التحقيق الصحفى أن تكون لديه حاسة الخبر وقدرة كتابة المقال وموهبة الرؤية القصصية الأدبية التى يصيغ بها التحقيق.

وأساس التحقيق الصحفى هو تغطية قضية أو مشكلة مثارة والاجابة على التساؤلات الكثيرة التى يسألها المواطنون عن هذه المشكلة أو القضية وكاتب التحقيق يجيب عن هذه التساؤلات من خلال سؤال الخبراء والمصادر وكثيرا

ما يكون هناك أكثر من جانب للقضية وهذا يزيد من قيمة التحقيق الذى يعرض مختلف الآراء المتناقضة ليثرى معرفة القائ ومعلوماته. ولكن التحقيق الصحفى ليس مجرد عملية تسليم وتسلم يقوم بها كاتب التحقيق.... ليس دوره أن يذهب إلى المصدر ويستمع منه ثم يضع ما قاله على الورق وينتهى الأمر فكل أطباق الطعام اصلها واحد وموادها لاتختلف بين طباخ وأخر ولكن الطباخ الشاطر هو الذى يضيف إلى الطبق شيئا من عنده شىء يعطيه المذاق الخاص والطعم المميز الذى يفرق بينه وبين اطباق الآخرين... وهذه هى الرؤية الأدبية لكاتب التحقيق... وهى أصعب ما فى التحقيق لأنها تحتاج إلى أن يجهد كاتب التحقيق نفسه فى كل مرة ويحاول أن يبحث عن طريقة يواجه بها جمهور القراء ويجذبهم إليه... وهذا المجهود الذى يبذله كاتب التحقيق هو الذى يتيح له فرصة الانتقال إلى مرتبة الكاتب الذى يعبر عن أفكاره الشخصية وهى أفكار يكون قد جمعها من خلال مشوار عمر العمل الطويل من خلال مئات المصادر التى التقى بها ومئات الكتب التى قرأها ومئات الرحلات التى قام بها....

ولابد لكاتب التحقيق أن يعيش باذان مفتوحة تستطيع أن تسمع بسهولة ما يتناقله الناس من موضوعات حتى يكون التحقيق الذى يكتبه معاصرا للأحداث وينطبق عليه ما نسميه فى المجال الصحفى «الاكتوالينية».... وبالإضافة إلى ذلك فإن عليه أن يقف بالتأمل والتفكير أمام الأشياء كثيرة تمرد ولم يلحظها الكثيرون ولكن مهمة كاتب التحقيق هو أن يفاجئ القارئ بما لم يكن يعرفه عن شئ طالما مر عليه ولم يثر انتباهه.

ثم أضيف إلى ذلك أن هناك قضايا وموضوعات ومشاكل موسمية... موضوعات جرى تناولها من قبل أكثر من مرة ورغم ذلك مازالت

مطروحة. ومهمة كاتب التحقيق أن يبحث عن الطريقة الجديدة المختلفة التى يعرض بها تحقيقه وبحيث تجذب القارئ وتجعله يقبل على قراءة الموضوع رغم معرفته بأنه سبق تناوله فى الصحافة أكثر من مرة .. لفت نظرى فى كل مرة تعلن فيها نتيجة الثانوية العامة خاصة شكاوى الذين تعدد اصحاب المشاكل والشكاوى حصلوا على مجاميع مرتفعة (٨٥٪ فأكثر) وهذا مجموع يعنى حصول صاحبة على تقدير ممتاز ولكن كثيرين من اصحاب هذا التقدير الممتاز لايستطيعون دخول مايسمى كليات القمة (الطب والصيدلة والهندسة) وذلك بسبب كثرة عدد الناجحين وأهم من ذلك كثرة اصحاب المجاميع المرتفعة هناك ايضا شكوى الذين يرسبون فى مادة الاختيار لكن الشكوى الأعلى هى شكوى الآباء من المجاميع التى حصل عليها أولادهم . فهم لا يصدقون أن هؤلاء الأولاد لم يحصلوا إلا على هذه الدرجة المتواضعة فى أحد العلوم بينما هم واثقون من أن الأبناء يستحقون درجة اكبر وعلى استعداد لدفع الرسوم اللازمة لمراجعة ورقة الاجابة ..

أين تذهب أوراق أجابات الامتحانات بعد أن يتم تصحيحها وتقدير درجات الطالب وانتهاء دورها؟

تذكرت اننى أجبت عن هذا السؤال من خلال تحقيق صحفى نشرته فى صحيفة الاهرام يوم ٦ اغسطس عام ١٩٦٧ وكان امتحان الثانوية فى ذلك العام هو أول امتحان فى اعقاب هزيمة ٦٧ وقد كثرت الشكوى من تقدير الدرجات فى هذا الامتحان وجعلنى ذلك ابحث عن مصير اوراق الاجابة ليس فى الثانوية العامة فقط وإنما فى كل الامتحانات.

وعندما اعود إلى ما نشرته قبل ٢٨ عاما على وجه التحديد أجد فيه مايلى:

١ ـ أن علاقة الطالب تنتهى تماما بورقة الاجابة فور تسليمها لمراقب لجنة الامتحان وبعدها تدخل الورقة ما يعرف باسم «طى الكتمان». وليس صحيحا.

كما يقال أن هناك رسما معينا يمكن أن يدفعه والد التلميذ كي يرى أوراق اجابة ابنه، والمكان الوحيد الذى يمكن للأب أن يفعل فيه ذلك هو مجلس الدولة ولكن حتى هذا لايستطيع أن يرى الأب أو الابن فيه سوى صفحة واحدة مجرد صفحة واحدة لكى يجيب عن سؤال يوجه إليه من هيئة المحكمة هذا السؤال هو هل هذا هو خطك؟

وعندما يجيب الطالب بنعم ولم يحدث فى أى دعوى اقيمت أن قال طالب لا، فإن المحكمة تعهد إلى خبير فنى تنتدبه وزارة التربية بمراجعة «مجموع» الدرجات الواردة فى الورقة ومطابقتها على مجموع الدرجات المسجل فيها ليس للخبير الفنى ولا من مهمته مراجعة الاجابة ومعرفة صحة أو عدم صحة الدرجة التى اعطيت وإنما مهمته فقط جمع الدرجات وبعدها تحكم المحكمة برفض دعوى الطالب وتغريمه المتاريف غير اتعاب المحامين.

٢ ـ أنه كما يحدث فى امتحان الثانوية العامة كذلك يحدث فى امتحان الجامعة لكن عمداء الكليات فى بعض الاحيان وتحت إلحاح الشكاوى المتلاحقة يتولون بأنفسهم دخول حجرة الكنترول حيث تحفظ الاوراق بعد التصحيح ومراجعة الدرجات التى حصل عليها الطالب ومقارنة مجموعها بما جاء فى الورقة ولكن فى الحالتين فى مجلس الدولة أو فى الجامعة لا تحدث اية مراجعة على عملية التصحيح وتقدير الدرجة نفسها.

٣ - اين تذهب أوراق الامتحانات؟ أن اوراق الامتحانات كأى أوراق رسمية للدولة تخضع للوائح وقوانين وقد اغفلت لائحة المحفوظات الصادرة عام ١٩٥٤ اغفلت من حسابها اوراق الامتحانات رغم أن هذه الاوراق كانت واردة في لائحة عام ١٩٣١ ولائحة محفوظات الدولة تحدد بصورة محددة انواع المستندات التى يجب حفظها ومدة حفظ كل منها، وعلى سبيل المثال فإنه يتم بصفة مستديمة حفظ سجلات الماهيات والموظفين والمعاشات وميزانية الدولة وملفات الخدمة بكبار الموظفين من درجة مدير عام فاعلى.

وتحفظ لمدة ٥٠ سنة سجلات طلبات الاستبدال النقدى والعقارى ورؤس الاموال المستبدلة بعقار أو نقود.

وتحفظ لمدة ٢٠ سنة دفاتر قيد المبالغ التى تصرف على حساب المعاش أو المكافأة للمدفونين وورثة المتوفى وتحفظ لمدة عشر سنوات سجلات اقدمية الموظفين والمستخدمين ودفاتر ايصالات تحقيق الشخصية وتحفظ لمدة ٥ سنوات كعوب سراكى المعاش ودفاتر السلف المستديمة وتحفظ لمدة ٣ سنوات دفاتر الشيكات ومكافآت ضبط الحشيش لكن اللائحة اغفلت أوراق الاجابة تاركة التصرف فيها لقرارات الوزارة وادارة الجامعة.

٤ - تبعا للوائح القديمة فإن اوراق الاجابة فى المدارس يحتفظ بها لمدة سنة واحدة أما فى الجامعات فيمتد الحفظ إلى اربع سنوات ويتم اعدام الاوراق فى نهاية مدة حفظها.

٥ - لم يكن معنى الاعدام التخلص من هذه الاووراق بالحرق وإنما تعنى ايضا «بيعها دشتا» وقد كانت العادة أن تنتهى أوراق الاجابة فى امتحانات النقل عند باعة اللب والترمس ولكن المعاهد الأزهرية ظلت

حريصة على تعاليم الأعدام بالحرق بسبب ما تحويه اوراق اجابات طلبتها من اسماء الله والآيات والأحاديث.

٦ ـ عندما بدأت صناعة الورق فى مصر استقر الرأى على معنى جديد للإعدام وهو تسليم هذه الأوراق لشركات الورق لتحويلها إلى عجين وإعادة استغلالها. وبعد أن تأكدت ادارة الازهر من سلامة هذا الاجراء وعدلت عن حرق اجوبة طلبتها وسلمتها لشركات صناعة الورق.

٧ ـ فى كل عام تقوم وزارة الخزانة (المالية حاليا) باجراء عطاء بين شركات الورق لشراء اوراق الاجابة وكل الأوراق الدشت ذات الصفة السرية وتذاكر اسكك الحديدية المقطعة وفى عام (١٩٦٦) رسا العطاء على شركة الورق الأهلية التى دفعت ١٥ جنيها فى طن ورق الاجابات وستة جنيهات فى طن تذاكر السكك الحديد المستعملة.

٨ ـ بسبب السرية الخاصة على اوراق الامتحانات يرافقها مندوبون خاصون حتى وصولها إلى مقر الشركة ويتم قبل عملية البيع نزع البطاقة المدون عليها اسم الطالب وحتى بعد وصولها إلى مقر الشركة تكلف لجنة خاصة يصدر بتشكيلها قرار وزارى عملية الاعدام التى تتحول فيها اجابات آلاف الطلبة إلى عجينة.

٩ ـ منذ ثلاثة وأربعين عاما (أى من عام ١٩٥٢) كانت الوزارة تحفظ فى متحف العلوم فى وزارة التعليم اوراق اجابات الخمسة الأوائل وكان الغريب أنها تحتفظ ايضا بأوراق اجابات الخمسة الآواخر إلا أنه عدل عن هذا التقليد بعد أن تبين كثرة عدد الأواخر (فى امتحان سنة ٦٧ كان هناك ٨٥٢ طالبا ترتيبهم الاخير وحصل كل منهم على ١٥٣ درجة) ولكنهم فى الجامعة يعدمون كل الاوراق لافرق بين الأول والأخير.

١٠ ـ ليست أوراق اجابات الطلبة كلها اوراق من نوع امتحانات الثانوية فهناك أوراق اجابات مختلفة وعديدة فى الجامعات من ذلك مشروعات طلبة كلية الهندسة، ولوحات الرسم فى كليات الفنون وفى كثير من الكليات العملية فإن الاجابات تشمل صناعات (مثلا كان سؤال امتحان قسم النجارة فى اعدادى المدراس الصناعية تصميم اجزاخانة منزلية) والاتفاق السائد هو أن يتم اقامة معرض سوف يتم فيه «بيع اجوبة الطلبة.. أما فى كلية الاقتصاد المنزلى فقد أصبح التقليد فى امتحان مادة الاطعمة والأغذية الذى يقدم فيه الطلبة اجاباتهم وهى عبارة عن اطباق للطعام يقومون هم بتدبير وتوفير نفقات تكاليفها... فإنه بعد الامتحان وتقدير الدرجات يتم تسليم الطالبات أجوبة الامتحانات» ليأكلوها بمعرفتهم!

هذا ما كتبته فى صحيفة الاهرام يوم ٦٧/٨/٦ قبل ٢٨ سنة ترى لو أن صحفيا اليوم اعاد نشر موضوع يجب على نفس تساؤل اين تذهب اوراق اجابة الامتحانات... ترى ماذا يقول فى ضوء التغيرات والتطورات التى حدثت، وعدد الكليات والمعاهد التى اصبحت منتشرة اليوم؟!

مطار بحرى فى روض الفرج

هل اختلفت المسافات مع الزمن؟ أذكر أننى عندما كنت أسافر من القاهرة إلى دمياط وبالعكس كان الأمر يحتاج منى إلى يوم كامل .. واليوم يمكن أن يقطع المسافر المسافة بين البلدين فى أقل من نهار.

ولقد كان من قدرى أن أمضى سنوات طفولتى فى هذه المدينة المميزة التى تختلف كثيرا فى طبيعتها وفى ناسها عن باقى المحافظات ولم أعرف هذه الطبيعة ولا تلك الشخصية إلا بعد أن ابتعدت عنها وبدأت أنظر فى داخلى وابحث عن مصادر وأشياء كثيرة وأجدها هناك فى هذا البلد الذى أرسلنى أبى إليه بعد أن توفت أمى وأنا فى سن ٣٠ شهرا كى تتولى عمتى تربيتى فى أحضان عائلة من أربعة ذكور وأنثى.

وربما كان أول صفة لدمياط أنها مدينة وصول ليست مثل طنطا أو الزقازيق أو بنها أو المنصورة أو غيرها كثير من المدن التى يطلق عليها مدن مرور .. تأتى دمياط عند شاطئ النيل فى الفرع الذى تحمل اسمه فى نهاية الخط وبالتالى فليست هناك عربة مارة بالمدينة ينزل ركابها للزيارة وإن كل سيارة وكل قطار وكل وسيلة انتقال لا تحمل إلى المدينة إلا من قصد

بالفعل زيارتها. وقد أثر هذا على طبيعة العلاقات بين أبناء المدينة فكلهم أهل موقع واحد يعرفون بعضهم بالاسم ـ ومن المستحيل أن يدخل غريب المدينة دون أن تلحظه عين.

ورغم هذا الموقع الذى يمكن أن يجعل دمياط مدينة معزولة ـ ولعل هذا ما ينطبق على مدينة رشيد مثلا التى تقف على رأس فرع النيل الثانى ـ إلا أن العلاقات بين دمياط وباقى مدن الوجه البحرى قديما ثم القاهرة بعد ذلك كانت شديدة وواسعة بسبب مجالات الانتاج المختلفة التى يقدمها الدمايطة سواء فى الأحذية ـ قبل أن تدخل الآلة هذا المجال ـ أو صناعة الأثاثات والحلويات والأسماك والأرز ومنتجات الألبان والغزل والنسيج وغير ذلك كله خدمات السياحة الصيفية التى تقدمها بنشاط واقتدار من خلال مصيف رأس البر .. وقد أتاح ذلك كله للدمايطة صلات واسعة بكل أنحاء مصر ولكن دون أن تؤثر هذه العلاقات على الشخصية الدمياطية.

وربما كان أول سمات هذه الشخصية العشق البالغ للعمل وأستطيع أن أقول أن الدمياطى لا يعشق العمل فقط وإنما يتنفسه ـ كثير من الناس يعملون بهدف الكسب أما الدمياطى فإنه يعمل أولا للاستمتاع بقيمة ذاته كشخصية تؤدى عملا .. وثانيا من أجل الكسب .. فقيمة أى فرد من دمياط فى عمله ولهذا يقولون دائما «إن اليد البطالة نجسة» وهو قول يوصم من لا يعمل بالنجاسة «أسوأ الصفات» ويستمتع الدمياطى أيضا بالكسب من عمله وهو ما جعل دمياط مدينة فريدة فى خلوها من باعة اليانصيب الذى يبحث الكسالى عن الحصول على ثروة بواسطتهم دون أى عمل يبذلونه.

والدمياطى فوق هذا إنسان مؤمن، يحتل الدين داخله مكانا طبيعيا لا أدعاء فيه ولا جهد .. وعندما كنت أذهب إلى المسجد وأنا طفل لأودى

صلاة التراويح فى رمضان لم يكن هناك من يطلب منى أن أفعل ذلك .
وعندما صمت رمضان وأنا فى السابعة من عمرى لم أكن فى حاجة إلى توجيه بالصوم .. فلقد كان طبيعيا أن أفعل ذلك وكل الذين أعرفهم يذهبون إلى المسجد ويؤدون صلاة التراويح وكل فرد فى المدينة يصوم .. حتى لو أردت أن أفطر فما كان ممكنا أن أجد محلا واحدا يعطينى فرصة الأكل أو الشرب خلال ساعات الصيام .. كانت كل المطاعم باعة المشروبات تغلق أبوابها طوال أيام رمضان ولا تفتح إلا مع الغروب .. وليس من السهل أن يجد دمياطى شخصا يفطر دون أن يوبخه ويسخر منه. ولذلك كانت دهشتى كبيرة عندما جئت القاهرة لأول مرة بعد غياب مرحلة الطفولة والصبا لأجد أن محال العصير والمطاعم مفتوحة فى رمضان .. ودخلت محل الأمريكين وجذب نظرى طبق المهلبية وذهبت ودفعت وقدمت الايصال للبائع وكنت أتوقع أن يزغر لى بعين قوية لأننى أفعل هذا فى رمضان ولكننى فوجئت به يناولنى المعلقة ويقول لى : تفضل !

وإذا كان أحد أصدقائى الذين تربوا فى قرية زراعية من قرى محافظات الغربية قد أدهشه عندما جاء إلى القاهرة لأول مرة أنهم يبيعون الملوخية فى محال الخضروات فى حين أنه تعود أن يقطع منها ما يريد بدون أى ثمن من على شط الترعة فإننى ذهلت وأنا أسير فى شوارع وسط المدينة سليمان وفؤاد وشريف وأجد كل هذه المطاعم المفتوحة والناس تأكل وتشرب ولا أحد يمنعك ويقول لك عيب عليك طولك يارجل يا درن ياللى فاطر فى رمضان!

وكان طبيعيا أن يبهرنى الترام كوسيلة مواصلات وقد خفت فى البداية أن أركبه وفى ثانى يوم وصولى إلى القاهرة. وكان ذلك عام ١٩٤٥ غادرت

الشارع الذى أسكنه فى شبرا وخيل لى أننى أفعل مثل ما كان يفعل الرحالة أحمد حسنين الذى كانت تدرس لنا رحلاته فى الصحراء .. وسرت وأخذت أسير حتى وصلت إلى نهاية شبرا وتصورت ما تصوره طارق بن زياد عندما وجد البحر أمامه فى اسبانيا وأعتقد أنه نهاية العالم.

ولم أعرف أنا إذا كان هذا الذى كان بحرا أو نيلا ولكنه فى كلا الأمرين كان يحتل نهاية العالم بالنسبة لى .. وقد أكد لى بالفعل أنها نهاية العالم عندما سمعت صوت طائرة وكانت أول مرة أرى فيها الطائرات على الطبيعة وأجدها تهبط فى الماء ـ وقد تصورت فى البداية إنها تسقط وأن قائدها أخطأ أو أنه تعرض لإصابة أسقطته، ولكننى فوجئت بالطائرة تعوم فوق الماء وقاربا بخاريا يتجه إليها وقاربا أكبر وركابا ينزلون ويخرجون من الطائرة .

ورحت أحكى لأخى ما رأيته وأنا واثق أنه سيكذبنى أو أنه سيقول لى إنه حلم وقد كنت على استعداد أن أصدق أنه حلم، ولكنه على العكس شرح لى أن ظروف الحرب دفعت الانجليز إلى ابتكار طائرات بحرية تهبط فى الماء ، وإنه فى روض الفرج وبسبب اتساع عرض النيل هناك تم اختيار المكان ليكون المطار الجوى الوحيد فى مصر.

وكانت لروض الفرج غير كونها المطار المائى الوحيد فى مصر جو مختلف .. فقد كان فيها كازينوهان أحدهما اسمه ليلاس والثانى اسمه بالاس، وكانت ليالى الصيف فيهما عامرة كل ليلة بالفنانين والمنافسة بين اسماعيل يس فى أحدهما ومحمود شكوكو فى الكازينو الآخر .. وكنت أتسلل إلى سطح الكازينو للفرجة على اسماعيل ياسين عندما يأتى موعد إلقائه مونولوجاته وقد بهرنى وكانت مونولوجاته أول شئ أحفظه وأردده ..

وأصبح سهلا على أن أصل إلى هناك بالترام رقم ٣٠ وهو أول ترام أحفظ رقمه وأعرف طريقه، وكان يبدأ من مصر القديمة وينتهى عند روض الفرج، ولم أذهب إلى مصر القديمة إلا بعد أن دخلت الجامعة فلم يكن هناك سبب يدعونى إلى ذلك ـ فالكازينوهات فى روض الفرج وفسحة النيل هناك كل ليلة من ليالى الصيف.

ولم تكن مصر القديمة وحدها التى لم أعرفها إلا مؤخرا وإنما أحياء كثيرة فى القاهرة لم أذهب إليها أو أزورها إلا بعد سنوات طويلة من إقامتى فيها .. ولعلنى لم أكن وحدى الذى يفعل ذلك فقد كانت أحياء القاهرة تبدو موزعة على سكانها بحسب الطبقة والفئة التى ينتمى إليها سكانها .. كانت الزمالك الارستقراطية مثل العباسية شرق وحدائق القبة، وأحياء متوسطة على رأسها شبرا وأحياء أخرى شعبية وكان مظهر انتماء سكان كل حى من الأحياء إلى طبقة واحدة ولذلك كان الناس فى كل حى يمثلون شريحة واحدة تتناغم أخلاقياتهم وسلوكياتهم ومفاهيمهم وهو ما لم يعد موجودا اليوم فأنت ترى فى الحوارى الشعبية سيارات مرسيدس مفروض أن أصحابها يمتلكون ثروة سكان الأحياء الارستقراطية، وفى الوقت نفسه نجد فى الأحياء المفروض أنها أرستقراطية سلوكيات بالغة الشعبية. وهذا مرجعه فى رأيى إلى أزمة الإسكان التى جعلت سكان الحارة الذين أثروا وجرت الفلوس بين أيديهم يرضون بالبقاء فى الحارة ولكن بعد ادخال مظاهر عزهم وثرائهم اليها .. وهناك آخرون انتقلوا من الحارة إلى إلى الأحياء الراقية ولكن من دون أن يملكوا سلوكيات هذه الأحياء وقد نقلوا إليها مفاهيم الحارة والثقافة والأمية التى ينتمون إليها وبالتالى سقطت الحواجز واختفت الخطوط.

ولكن القاهرة القديمة التى عرفتها لم تكن كذلك .. وكان النزول إلى وسط المدينة يعد متعة . فدور السينما نظيفة مكيفة وهواؤها البارد ينعش من يمر أمامها فى حر الصيف .. وكانت الشوارع هادئة والترام يشق شارع ٢٦ يوليو وله محطة شهيرة أمام الأمريكين شارع سليمان باشا أشهر نواصى مصر .. وكان هناك ناس يغوون الوصول إلى حى أمريكين سليمان باشا ويمضون الساعات واقفين يتفرجون ويبحلقون وكثير منهم يمسك سلسلة حديدية يديرها على أصبعه يمينا ويسارا، وهى موضة انتشرت فى ذلك الوقت موضة الإمساك بسلسلة المفاتيح والتلاعب بها . وقد اختفت هذه العادة فجأة كما اختفى الطربوش الذى كان من أساسيات اللبس.

وكان طبيعيا لشاب فى الثانية عشرة أن تبهره الصور والمناظر والأضواء وإن أصر على ترك دمياط والمجئ إلى القاهرة وهو ما فعلته فى أكتوبر ١٩٤٧ بعد أن وصلت سنى الرابعة عشر .. وبدلا من أن أنتظر فى دمياط حتى أنهى دراستى الثانوية فقد انتقلت إلى السنة الثالثة فى مدرسة التوفيقية الثانوية كانت فى حدا ذاتها «حدوتة» فقد كانت مدرسة شتاء ونادیا صيفا تمضى فيه شهور الأجازة فى مختلف وسائل التسلية ، وكانت من المدارس القليلة التى بها حمام سباحة.

ومنذ أسابيع قليلة غاب عنى السائق وبدلا من أطلب سيارة أخرى من جراج الأهرام ومبناه فى شارع الجلاء قررت أن أنزل بنفسى وأبحث عن سيارة تاكسى، ولم يكن الأمر سهلا كما تصورت وخطر لى أن أسير إلى شارع رمسيس أو ٢٦ يوليو حيث أجد عشرات التاكسيات.

وفى الظروف العادية ليلا فمن الممكن ذلك لكننى كنت فى عز أزمة المواصلات كما يقولون الثالثة بعد الظهر .. وأخذنى الحنين إلى ناصية

الأمريكين وقلت أذهب واستنشق روائح الماضى .. ودفعت باب الأمريكين كما كنت أفعل قبل ٣٠ سنة ولكننى تجمدت واقفا عندما دخلت، فقد اختلف كل ما فى الداخل ، وكانت هناك كراسى مقهى بلدى متراسة فى ركن وقد جلست على أحدها سيدة تلف رأسها «بمنديل أوية» وبنفس الدهشة التى كست وجهى عندما دخلت المكان قبل ٥٠ سنة وجدتنى أقف مندهشا وقد جرى ناحيتى أحد عمال المحل يسأل أى خدمة كانت دهشتى قديما من الشياكة والزحام والحركة والمعروضات والأناقة، واليوم أصبحت دهشتى من المستوى الذى وصل إليه الحال.

وقلت أترك الأمريكين وأذهب إلى محل اكسلسيور المواجه أتناول سندوتشا من سندوتشاته القديمة .. ونظرت فوجدت أن المحل قد تحول من مطعم إلى محل لبيع ملابس الأطفال وقد غير اسمه.

وتذكرت مطعم ريووطبق المكرونة الفرن بقرشين صاغ وكان العامل يدفع بجانبه طبقا كبيرا بالطرشى نظير قرش تعريفه بقشيش كنا ندفعه له بكل كبرياء .. ولكنى وجدت باب المحل مغلقا ..

ووقفت حائرا فى وسط الشارع متوجسا من الخوف .. فهذا العالم ليس العالم الذى أعرفه .. هذا عالم آخر يبدو غريبا علىّ وأبدو أنا نفسى غريبا عليه .. وأخرجنى من حيرتى زميل وقف أمامى بسيارته وسألنى هل أمانع فى الركوب معه وقلت له بفرحة : أنقذنى .. أرجوك خذنى معك فأنا هنا فى بلد غريب !

أزمة فى "الأهرام" بسبب دفن فاروق

أول مرة رأيت فيها الملك فاروق كانت فى نادى الجزيرة الرياضى، وكنت يومها فى زيارة أحد الأصدقاء وقد لفتت نظرى ضحكة تجلجل أصداءها بالعز والرفاهية. ولم يكذب سمعى فقد كانت بالفعل ضحكة ملك. وعندما التفت ناحية مصدر الضحكة عرفته من وجهه وشاربه . ولكننى خفت النظر إليه طويلا ، وأن تقع عيناه علىّ وأنا أنظر إليه فوقفت خلف شجرة تخفينى عنه ورحت أحاول النظر إليه من وراء الشجرة وقد استمر هذا نحو دقيقة ثم غادرت مكانى بعيدا وأنا أفكر فى هذا الملك.

كنت يومها فى الخامسة عشرة، وكان المفروض أن أحب «فاروق» ولكننى لم أشعر بهذا الحب ناحيته بسبب المقالات التى كتبها الراحل احسان عبد القدوس عن صفقات الأسلحة الفاسدة التى تم شراؤها لتزويد الجيش المصرى بها فى حرب فلسطين. وبدلا من أن تصيب هذه الأسلحة اليهود فإنها انفجرت فى الضباط والجنود المصريين وقتلت اعدادا منهم !

وقد تولى فاروق العرش فى سن صغيرة، ولم ينتظر مستشارو السوء أن يبلغ الثامنة عشر بل خرج المفسرون بقول إنه من الممكن أن يبلغ ١٨ سنة

هجرية لا ميلادية. ولما كانت السنة الهجرية تنقص ١١ يوما عن الميلادية فقد جلس فاروق على عرش مصر وهو في سن ١٧ سنة وخمسة أشهر تقريبا. وبذلك كان «شخشيخة» في يد الذين أحاطوا به والذين جعلوه يوقع وهو في هذه السن خطابا بإقالة زعيم الوفد مصطفى باشا النحاس يتهمه فيه بعدم الكفاءة !

وفي السنوات الأولى من حكم فاروق أحاطه شعب مصر - وقد كنت شاهدا على ذلك - بما لم يحظ به هذا الشعب ملكا من قبل .. فقد كانت صورة فاروق الجميل وسنه الصغيرة تعكسان البراءة والصفاء، وكان طبيعيا بالنسبة للملك يجلس على عرش أكبر دولة عربية ولم يتعلم أو يتثقف ويحاط بحاشية السوء التي أغرته وسهلت له الأخطاء أن يتردى بسرعة ويفقد رصيد الحب الجماهيري الذي بدأ به حكمه وهكذا فإنه عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ كان فاروق هو الشخص الذي لم يختلف أحد على ضرورة نهايه. كان قد حرق كل أسهمه ولم يعد باقيا له إلا مجموعة قليلة من المنتفعين، أما السياسيون وأفراد الشعب والأحزاب فقد اسقطوه تماما من حساباتهم ولهذا كان طبيعيا أن ينصحه السفير الأمريكي في ذلك الوقت عندما استنجد به فاروق ، أن يستجيب لطلب، التنازل عن العرش ويغادر البلاد، وكان ذلك في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

وقد غادر فاروق البلاد من الاسكندرية على الباخرة المحروسة التي ذهبت به إلى ايطاليا حيث أمضى ١٣ سنة قبل أن تنقل وكالات الأنباء في شهر مارس ١٩٦٥ - قبل ٣٠ سنة - إنه مات عمره ٤٥ سنة ووزن ١٢٧ كيلو جراما !

وقد ترددت شائعات عن دور للمخابرات المصرية قام به ضابط المخابرات السابق ابراهيم بغدادي (أصبح بعد ذلك محافظا للقاهرة) في قتل فاروق

عن طريق دس السم له فى الطعام الذى كان يتناوله فى أحد المطاعم التى تعود أن يأكل فيها. وقيل أن عملية القتل من جانب المخابرات المصرية قد جرت خوفا من استخدام فاروق فى المجئ به ـ من جانب القوى الاستعمارية ـ ملكا على مصر مرة أخرى بعد التخلص من الثورة . وهو قول ركيك بالاضافة إلى أننى التقيت بعد عدة سنوات بالأستاذ أحمد مرتضى المراغى الذى كان آخر وزير للداخلية قبل قيام الثورة وكان من أصدقاء الملك فاروق وقد روى لى وسجل هذا كتابة ونشرته فى مذكراته التى نشرتها بمجلة أكتوبر أنه ـ أى مرتضى المراغى ـ تردد على المطعم الذى مات فيه فاروق لفترة طويلة حتى اكتسب صداقة صاحب المطعم واستطاع بعد ذلك أن يتحدث معه فى الظروف التى أحاطت بوفاة الملك وقد قال له صاحب المطعم أنه كان ضروريا وطبيعيا أن يموت فاروق فى ذلك اليوم بعد كميات الطعام غير العادية التى أكلها وكان من بينها صينية بطاطس وحلة مكرونة إلى جانب كميات هائلة من الاستاكوزا واللحم ! وقال صاحب المطعم : لو أكل فيل هذه الكميات لمات !

وقال لى مرتضى المراغى ـ يرحمه الله ـ أنه حاول أن يكون شرلوك هولمز فى اكتشاف لغز وفاة فاروق، ولكنه وجد هذا اللغز فيما أكله فاروق من كميات وكانت هذه الكميات وحدها هى السم الطبيعى الذى كان يجب أن يقتل فاروق.

وفى روما تم تشييع جثمان فاروق يوم ١٩ مارس ٩٥ بعد أن تم تشريح جثمانه وتأكد أن الوفاة كانت طبيعية وقد سار فى الجنازة أحمد فؤاد ابن فاروق الذى كان يبلغ فى ذلك الوقت ١٣ عاما وكان يعيش فى سويسرا ولكنه وصل إلى روما للاشتراك فى جنازة أبيه ومعه الملكة السابقة فريدة وبنات فاروق الثلاث فريال وفوزية وفادية.

وقد قدرت ثروة فاروق عند وفاته كما ذكرت المصادر الايطالية بحوالى ٢٥٠ مليون دولار وقال محامى فاروق أنه أوصى بالجزء من هذه الثروة لابنه أحمد فؤاد على أن توزع باقى الثروة على بناته الثلاث أما فريدة وناريمان زوجتى فاروق السابقتان فلم يترك لهما شيئا !

وكان السؤال هل يدفن فاروق فى ايطاليا أم يسمح بدفنه فى مصر؟

وقد عرف العالم الاجابة على هذا السؤال من الخبر الذى نشرته جريدة «الاهرام» فى صفحتها الأولى يوم ٢٧ مارس ١٩٦٥.

كان نص الخبر يقول «فاروق يدفن فى مصر. أسرته طلبت والسلطات المسئولة وافقت. علم مندوب خاص للأهرام أن السلطات المسئولة فى الجمهورية العربية المتحدة وافقت على طلب تقدمت إليها به أسرة فاروق ـ ملك مصر السابق ـ لكى يدفن فيها.

وعلم مندوب الأهرام أن السلطات التى أصدرت الموافقة أصدرتها تعبيرا عن سمات الشعب فى الجمهورية المتحدة ورحابة نظرته الإنسانية، فإن أرض مصر التى ضاقت بفاروق ورفضته ملكا تتسع له وتقبله إنسانا فى الموقف الذى كان يتساوى فيه جميع البشر أمام خالقهم الذى يملك وحده بعد الموت حساب خطاياهم. وقد أخطرت سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى روما لإصدار التصاريح اللازمة بنقل جثة فاروق. والمنتظر أن يتم ذلك خلال هذا الأسبوع.

كان الواضح من أسلوب الخبر وصياغته أن كاتبه هو الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس التحرير وقد سلمه للنشر فى الصفحة الأولى إلى الاستاذ توفيق بحرى رئيس قسم السكرتارية الفنية فى ذلك الوقت.

وكان بحرى ـ يرحمه الله ـ من الذين صحبهم هيكل معه عند انتقاله من أخبار اليوم إلى الأهرام.

وكان بحرى يمثل مدرسة فى اخراج الصفحات وأهمها وأولها الصفحة الأولى التى ظلت تميز الأهرام منذ تولى هيكل رئاسته لعدة سنوات.

وقد ترك بحرى مدرسة فى الاخرَاج لها بصماتها وتلاميذها

ولكن الذى حدث فى ذلك اليوم أن بحرى نشر الخبر فى الصفحة الأولى فعلا ولكن تحت عنوان صغير وببنط صغير.

وتصادف أن دخلت على بحرى فى صباح ذلك اليوم فوجدته يبكى وجلست أسأل وأخفف عنه..

وعرفت منه أن هيكل غضب عليه غضبا شديدا بسبب الطريقة التى نشر بها خبر فاروق. وكانت غضبة هيكل من بحرى فعلا قاسية وجارحة.

فقد فوجئ بحرى عند وصوله إلى الصحيفة بخطاب من الاستاذ هيكل يعكس مشاعر الغضب البالغة التى كان يشعر بها. وكان نص الخطاب كما يلى .

الأستاذ بحرى

أعرف إنك كنت وراء فكرة تعليق لوحة فى غرفة سكرتارية التحرير المركزية بمواعيد الصفحات ـ إعداد كل منها وكبسها ـ إلى آخره !

أريد أن أقترح تعليق لوحة أخرى فى مكتبتك أنت، تكتب عليها ما معناه أن «توضيب» صفحة من الصفحات خصوصا الصفحة الأولى ليس مجرد تنسيق، ولكنه أيضا عملية ابرازٍ أعنى أن المسألة ليست مجرد حساب

مساطر ولكنها عملية وزن صحفي يربط، ويفصل عند الاقتضاء ويضع لمسات تضيف العمق وتلقى النظر إلى المضمون.

أقول هذا بمناسبة البنط الذى جمعت به خبر دفن فاروق فى مصر مع اعتقادى أن هذا الخبر ـ ولو أنه على عمودين من أهم ما سوف يتحدث عنه الناس اليوم !

قد ترى أن هذه الملاحظة لا ينبغي أن توجه لأستاذ في الجامعة. ولو أنه أستاذ سابق، مع ذلك فأنا أغامر وأمرى لله بتوجيهها.

لعلك تقربى على وجهة نظرى إذا انصفت نفسك وأستاذيتك السابقة في الجامعة، وأخطر من ذلك استاذيتك أمام الذين يعملون معك ويتلقون منك وسوف يتحملون مسئوليات مستقبل الاهرام فى ناحية تخصصهم!

هل عندك خطاط يكتب اللوحة المقترحة ؟!

محمد حسنين هيكل

.١٩٦٥/٣/٢٧

وكما هو واضح فلقد كان الخطاب بالغ القسوة ولكن من يعيد قراءته اليوم بعد ٣٠ سنة يستطيع أن يعرف لماذا كان هيكل رئيس تحرير ناجح .. وأهمية المقاييس التى ينظر بها إلى الأخبار المنشورة ليس من حيث الصياغة وإنما أيضا من حيث الاخراج والابراز.

ولم يكن هيكل على هذه القسوة فى معاملاته مع الذين يعملون معه فقد كان عتابه رقيقا وحاسما فى نفس الوقت، وكانت هذه المرة من المرات القليلة جدا التى عبر فيها بحدة وقسوة عن غضبه.

ولعدة سنوات كنت أداعب بحرى بالحديث عن فاروق الذى ما أن انطق أسمه أمامه حتى يصب عليه اللعنات هو والذين خلفوه !

ولكن بحرى تعلم الدرس الذى يجب أن يتعلمه كل مشتغل بالصحافة.

الفهرس

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٩١٥٠ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5393 - 1

مكتبة الأسرة

القراءة للجميع
مهرجان صيف ٩٧
جمعية الرعاية المتكاملة

بسعر رمزى جنيه وربع
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

■ صلاح منتصر

بدأ العمل فى الصحافة فى عام ٥٣ محررًا فى «آخر ساعة»، وانتقل إلى «الأهرام» فى عام ٥٨ رئيسًا لقسم التحقيقات ثم سكرتيرًا للتحرير فمساعدًا لرئيس التحرير فمديرًا للتحرير.

فى عام ٨٥ عين رئيسًا لمجلس إدارة «دار المعارف»، ورئيسًا لتحرير مجلة «أكتوبر» إلى العام ١٩٩٤.

- صاحب عمود «مجرد رأى» اليومى بصحيفة الأهرام من يوليو ١٩٧٨.

- من مؤلفاته: «حـ ... الأولى
«السلام النووى»، « ... شيخ
«رسالة إلى أى شاب ... دخن
«الطريق إلى السلام»، ... سهاد
الأخيرة».